تربيـة القـرآن لجيـل الإيمان

الفقير إلى الله تعـالى

فوزي محمد أبو زيد

مطبعة ستراند الحديثة
تليفون : ٣٥٥٤٠٦٩

رقم الايداع

٩٦/٥٧٨١
I. S. B. N.
977 - 19 - 0882 - 0

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشـاعر :

كـون الله فى الحشـــايا جنينـــاً
بعنـــــايات ربه مـشـــــمـولاً
فـعظامـاً وقـد كـســاها لحـمـاً
وعـروقـاً فكان حـمـلاً ثقيـــلاً
تصـــنع الأم ما تشـــاء ولـكن
عليهـــا محـافظـــاً ووكـيـــلاً
فإذا صـــار جوفهـــا منـــه خلواً
صـــار بالحب قلبـهـا مـشـغـولاً
بيتــــه حجــــرها ولله بيت
لا يريد الرضـــيع منـــه بديلاً
ولـه بـين أمــــــه وأبيـــــه
منزل فـيـــــه يكرمـان النزيلا

مقدمة

الحمد لله الذى أنزل القرآن تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة للمؤمنين، فما من شىء يهم المسلم فى دنياه أو أخراه، فى نفسه أو فى ولده، أو فى بيته أو فى مجتمعه، إلا والقرآن الكريم وضحه وبينه بأجلى بيان، وأصح تبيان والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد ابن عبد الله علم الهداية الربانية، وسر العناية الإلهية، ومشكاة الأنوار القدسية وعلى آله أهل الشريعة الإسلامية، وأصحابه المتجملين بتلك الأحوال القرآنية، وكل من اهتدى بهديهم، أو تجمل بأحوالهم، أو سار على دربهم إلى يوم الدين، آمين.

وبعد.

قال ﷺ: **«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»**.

أى أن كل مسلم يجب أن يفكر فى أمور المسلمين، ومشاكل المؤمنين بقدر ما يفكر به فى مشاكل نفسه أو أكثر، خاصة وأن هذه المشاكل قد كثرت، والبلاء بها قد عم، بل إن الأمر قد انتهى إلى أزمة مستحكمة فى الأخلاق والمعاملات، لايجد كثير من الناس لها مخرجاً، وأصبح الأمر كما يقول أحمد شوقى:

وإذا أصيب الناس فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

ويعكف الخبراء والعلماء الآن على بحث الطرق السديدة للنهوض بمجتمعنا اقتصادياً وعلمياً وثقافياً وأخلاقياً وغيرها، ولكنهم لا يهتدون لذلك لأنهم يبحثون عن الحل فى تجارب الآخرين، فينظرون مثلاً إلى تجربة روسيا فيقومون بتنفيذها فى مجتمعنا، مع علمهم علم اليقين أن لكل مجتمع طباعه وعاداته، وأخلاق أهله التى ينفرد بها عن سواه.

فإذا لم تفلح هذه التجربة نظروا إلى تجربة أمريكا فيطبقونها، فإذا ثبت فشلها، اتجهوا إلى اليابان أو إلى ألمانيا، وهم فى كل ذلك يريدون أن يطبقوا علينا مبادىء القوم ومثلهم لعلنا نصير يوماً إلى مثل حالهم فى الدنيا من العلو فى الأرض والزخرف والزينة، ونسوا أن أساس الإصلاح فى أى مجتمع من المجتمعات هو الفرد نفسه، وهذا لا تقومه القوانين، ولا تصلحه اللوائح ولا التوصيات والتعليمات، وإلا فأى قانون يستطيع أن يمنع الغش نهائياً؟ وأى قانون يمنع الغيبة والنميمة والمكر والخداع واللؤم والخيانة؟.

لا يوجد إلا قانون واحد هو قانون السماء الذى أنزله الله فى دستوره (القرآن الكريم) ووضع يده عليه النبى صلوات الله وسلامه عليه، وأسس عليه دولة المؤمنين فى زمانه وإلى يوم الدين وإلى هذا الإشارة بقوله صلوات الله وسلامه عليه: **«إنما يصلح آخر هذه الأمة بما صلح به أولها»**، وأولها لم يستمدوا مدنيتهم وحضارتهم من الفرس ولا من الروم، وإنما أخذوها من نور كتاب الله عز وجل.

وأساس إصلاح الأفراد والذى يتوقف عليه إصلاح المجتمعات هو إصلاح النفوس والضمائر، لأن النفوس إذا صلحت، والضمائر

إذا طهرت، لا يحتاج الناس إلى من يمنعهم من الغش، لأن الرقيب في صدورهم، والمشرف عليهم والمحاسب لهم قلوبهم وأفئدتهم، فلا يرهبون من ذى سلطان، لأن سلطان الضمير أبلغ فى التوبيخ والتقريع، ولا يتم ذلك التوبيخ والتقريع إذا كانت النفس الأمارة بالسوء هى المهيمنة على تصرفات وسلوك الإنسان والنفس الأمارة هى المهيمنة على أهل النفاق وكل من لا إيمان له.

فكل من لا ينعقد فى قلبه الإيمان كما جاء به النبى العدنان ﷺ -وإن تظاهر يوماً بين الناس بالأمانة والصدق والمروءة- فهو داخل فى قول الله عز وجل: **﴿وإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم﴾**[1]، وإنما يكون تظاهرهم بالأخلاق الكريمة لخداع غيرهم، حتى يقعون تحت سطوتهم، وبعد ذلك ينفذون فيهم مخططاتهم الإبليسية من الغدر والخداع واللؤم والخسة.

والذى يرحمه الله بالإيمان، ويهذب نفسه بالقرآن، هو الذى يصلحه الله فينبه فى داخله النفس اللوامة التى أقسم بها الله فى قوله: **﴿لا أقسم بالنفس اللوامة﴾**[2]، فتلومه وتوبخه عندما يعصى الله، أو يفعل ما نهى عنه الله، أو يخالف فى صغير أو كبير هدى رسول الله ﷺ والفرد الذى يتربى على ذلك لا يحتاج إلى من يمشى حوله ليراقبه من الشرطة أو المخابرات، ولا يحتاج إلى من يفاجئه فى عمله أو فى تجارته من أى جهة من الجهات، لأن الرقيب الإيمانى الذى بداخله يمنعه أن يتصرف

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٢) سورة القيامة: الآية ٢.

أى تصرف بأى جارحة من جوارحه دون الموافقة على ذلك من هيئة الرقابة الإيمانية التى تسكن فى صدره وفؤاده ولسان حاله يردد قول القائل:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل علىّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفى عليه يغيب

فهذا جندى منهم يدخل قصور كسرى بعدما فتحت للمسلمين ويعثر على صندوق كبير يحوى مجوهرات وحلىّ نساء كسرى، فيحمله على حالته ويسلمه للقائد فيفتحه وينظر ما فيه فيتعجب ويقول له هل رأيت ما فيه؟ قال: نعم.

قال: ما اسمك؟ قال: ولماذا؟ قال: لنكرمك.

قال: لو أردت بذلك كرامتى عندك ما جئتك به لأن فيه الغناء، فاستدرك القائد قائلاً: نرسل فى أمرك إلى عمر ليعلم بفعلتك هذه هو وأصحابه فيثنوا عليك بسببها.

فقال الرجل: إنى لم أعمل ذلك من أجلك ولا من أجل عمر، وإنما عملته لله عز وجل، ولا أريد أن يعلم بعملى هذا أنت ولا عمر **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾**[٣].

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

هذا الذى ربى عليه محمد ﷺ أصحابه، فتجد الرجل منهم عارى الجسد إلا الذى يستر عورته، وجائع البطن لكنه لو عرضت عليه كنوز الدنيا كلها تجده زاهداً فيها لماذا؟.

خوفاً من الله عز وجل، ومراقبة لله سبحانه وتعالى.

لا يمنعه قانون، ولا يخوفه مراقبون إلا هيئة الرقابة التى بداخله، والتى لا تفتح إلا بصدق اليقين فى هذا الدين، فهى التى تمنعه من مثل هذا.

فإذا سألته ما الذى منعك؟ يقول: منعنى الله، وما الذى جعلك تترك هذا؟ يقول: نهانى الله لأن فى قلوبهم نفساً تتلقى عن الله عز وجل أوامره، وتصدرها لهذا الجسم ليكون سائراً على ما يحبه الله ويرضاه.

والذى أسعد هؤلاء القوم، وبلغهم المنازل العالية، وجعلهم يجتاحون فى زمانهم الأمم الراقية، لا يرجع إلى أنهم ربوا أبناءهم فى مدارس أجنبية، أو لأنهم حفّظوهم لغات أجنبية، وإنما لأنهم علّموهم هذه اللغة الإلهية، وجعلوهم فى كل نَفس يراقبون الذات العلية وشعارهم: «نزه الله أن يراك حيث نهاك، أو يفتقدك حيث أمرك».

وكان اعتناء الحكومة فى زمانهم شديداً فى تفقد هذه التربية فيخرج عمر إلى البادية والتى هى بعيداً عن العاصمة ليتفقد هل وصلتهم هذه التعليمات الإلهية؟ فيجد ولداً صغيراً يرعى أغناماً فيناديه وهو لا يعرف

أنه خليفة المسلمين- ويقول: يا غلام، بع لى شاة من هذه الغنم، فقال الغلام: إنها ليست لى، وإنما أنا أجير وهى ملك سيدى.

فقال: يا غلام، قل له أن الذئب أكلها.

فقال الغلام: يا سيدى، إذا قلت هذا لسيدى الصغير هنا فى الدنيا، فماذا أقول غداً لسيدى الكبير يوم القيامة! ويمشى فى طرقات المدينة بالليل يتفقد هذا الخلق وهو مراقبة الله عز وجل، فيمشى بمفرده، وليس حوله حاشية ولا حرس لأنه يحرسه إيمانه وعدالته بين الناس فى زمانه فيسمع حواراً يدور بين أم وابنتها تختبر فيه صدق إيمانها فتقول لها: يا بنية ضعى على اللبن قدراً من الماء قبل أن نبيعه فى الصباح.

فقالت البنت: يا أماه أمَا علمت أن أمير المؤمنين قد نهى عن خلط اللبن بالماء؟.

فقالت الأم: يا بنية، وهل أمير المؤمنين يرانا الآن؟.

فقالت البنت: يا أماه إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن الله عز وجل يرانا.

فوضع حجراً أمام الباب حتى يعرفه فى الصباح، وفى الصباح جمع أولاده وقال: يا بنى لقد كبر سنى، وضعفت قوتى، ووالله لو كان بى قوة لتزوجت من هذه الفتاة، من منكم يتزوجها، وأنا أتكفل له بجهازها كله؟ فقال ابنه عاصم: أنا، فتزوجها فولدت فتاة جاء منها عمر

ابن عبد العزيز الخليفة الخامس للخلفاء الراشدين، لأنه من بذرة منتقاة أسست على تقوى الله، وعلى مراقبة الله عز وجل فى السر والعلن.

هذه التربية الإيمانية التى تؤسس على مراقبة الله، وإخلاص العمل لله، والصدق والأمانة هى وحدها التى تستطيع حل مشاكل مجتمعنا برمتها بل حل مشاكل البشرية كلها لو سمحت لها الظروف بتطبيق مثلها وقيمها الإسلامية. وهذا الذى دعانا إلى عمل مثل هذا الكتاب والذى يتحدث عن تربية القرآن للمسلم وليداً ورضيعاً وطفلاً وصبياً وشاباً ورجلاً ليكون رجلاً من الرجال الذين يقول الله فى شأنهم: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾**(٤).

ونرجو أن يطلع عليه إخواننا المؤمنون ويسيروا على نهج القرآن فى تربية أنفسهم وأولادهم لعل الله عز وجل ينظر إلينا بعين عنايته فيصلح أحوالنا، وينقلنا من ذل المعصية إلى عز الطاعة، ومن التبعية لغيرنا إلى السيادة بمثلنا وقيمنا وتعاليم ديننا فقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله عز وجل.

نسأل الله عز وجل أن يجعل بنا وعلى أيدينا إعادة مجد الإسلام، وإصلاح أحوال المسلمين وأن يجعلنا من المعنيين بخطابه فى قوله

---

(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

عـــــز وجـــل: ﴿وعـد الله الذين آمنوا منكم وعـملوا الصـالحـات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فألئك هم الفاسقون﴾[٥].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

السبت ١٧ من صفر ١٤١٥هـ

١٥ من يوليو ١٩٩٥م

الفقير إلى الله تعالى

فوزى محمد أبو زيد

الجميزة – غربية



(٥) سـورة النور: الآية ٥٥.

الفصــل الأول

أحكام المولود فى الإســلام

* عجائب ولادة المســلم.
* الواجب على الأب نحــو المولود.
* تنبيـــه وعبرة.
* نبــات الله.

عجائب ولادة المسلم

جعل الله عز وجل للمولود فى الإسلام أمراً عجيباً، وشأناً غريباً، وذلك تأسياً بميلاد رسل الله الكرام ورسول الله ﷺ. فقد كانت ولادته خرقاً للعادة وليست كأى ولادة عادية، لأنه كان يسبّح فى بطن أمه، ويسمع تسبيحه وصوته وهو فى بطنها، وقد ورد أنه صلوات الله وسلامه عليه ولد ساجداً مختوناً مقطوع السّرة يرفع إصبعه (السبابة) إلى السماء (روى ذلك ابن سعد والبيهقى وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب).

وقد ورد أيضاً أن الملائكة والأرواح الطاهرة نزلت لمولده ﷺ، وذُكر ممن حضرن ذلك السيدة آسية امرأة فرعون، والسيدة مريم ابنة عمران، والحور العين، كلهن نزلن لحضور ولادته صلوات الله وسلامه عليه.

وكذلك الطفل المسلم تحضر ميلاده لجنة من الملائكة الكرام، فتساعد أمه فى إتمام ولادته وهى لا تشعر، وتكتنفه من جميع نواحيه لحفظه من الشياطين، لأن الطفل الذى يولد يحاول الشيطان أن يستحوز عليه، فينزل الله عز وجل جنده لحمايته من مكر الشيطان وكيده ويبقون فى ذلك المكان إما أسبوعاً على رأى، وإما أربعين يوماً على الرأى الآخر، فمكان الميلاد تتنزل فيه الرحمات والبركات ولذلك طلب سيدنا جبريل من رسول الله ﷺ فى رحلة الإسراء أن ينزل في بيت لحم حيث ولد سيدنا عيسى فقال: **«انزل هاهنا فصلى حيث ولد عيسى»** وهذا يدل على المكانة الكبيرة والمنزلة العظيمة لمكان ميلاد الأنبياء روى الطبرانى

في الأوسط عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: **«إذا وُلدت الجارية بعث الله عز وجل إليها ملكاً يزق البركة زقاً يقول ضعيفة خرجت من ضعيفة القيم عليها مُعان إلى يوم القيامة وإذا وُلد الغلام بعث الله إليه ملكاً من السماء فقبّل بين عينيه وقال الله يقرأك السلام»**.

الواجب على الأب نحو المولود

يجب على الأب أو من حضر ميلاد الطفل من الأقارب ما يلي:

١ – الأذان: أن يؤذن فى أذن الطفل اليمنى أذان الصلاة، ويقيم الصلاة فى أذنه اليسرى على أن يكون ذلك بصوت خافت لا يؤذى المولود، وفائدة ذلك حفظ المولود من الشيطانة الموكلة بالصبيان لقوله ﷺ: **«إذا وُلد لأحدكم مولود فليؤذن فى أذنه اليمنى، ويقيم الصلاة فى أذنه اليسرى، فإن ذلك يحفظه من أم الصبيان»**[(١)].

٢ – التحنيك: وقد كان ﷺ يضع تمرات فى فيه، ثم يتناولها ويضعها فى فم المولود التماساً لبركة ريقه صلوات الله وسلامه عليه، وقد حبّذ ذلك جماهير العلماء وخاصة إذا كان ذلك على يد رجل صالح لقوله ﷺ: **«سؤر المؤمن شفاء»**[(٢)]، وكره ذلك بعض المعاصرين خوفاً من وجود مرض معدى ينتقل عن طريق الريق، وإن اتفق الجميع على استحسان أن يكون أول شيء يصل إلى جوف المولود طعام أو شراب حلو.

---

(١) رواه أبو يعلى وابن السنى فى اليوم والليلة والبيهقى فى شعب الإيمان من حديث الحسين ابن على.

(٢) رواه الدارقطنى عن ابن عباس.

٣- الحلق والتصدق: فقد أمر ﷺ عند ولادة الحسن والحسين الحلاق أن يحلق شعرهما ووزن مقابله ذهباً وأمر بأن يتصدق به[٣]، فإذا كان المولود ولداً أو بنتاً له شعر فعلنا معه ذلك تأسياً بهديه صلوات الله وسلامه عليه، وإن كان شعره قصير وقليل كمعظم المواليد فى عصرنا بسبب تعاطى الأمهات للأدوية أثناء الحمل اكتفينا بالتصدق عن المولود بما يوازى ثمن جرام ذهب تقريباً أو أقل أو أكثر على حسب السعة عملاً بقول الله تعالى: **﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾**[٤].

٤- التسمية: وتكون باختيار اسم حسن له دلالة ومعنى لقوله ﷺ: **«أكرموا أبناءكم، وأحسنوا أسمائهم»**[٥]، وخير الأسماء بالنسبة للذكور هى المشار إليها بقوله ﷺ: **«خير الأسماء ما حمّد وعبّد»**[٦]، أى أسماء الرسول ﷺ، والأسماء المضافة إلى صفات الله عز وجل كعبد الرحمن وعبد اللطيف وغيرها، أما بالنسبة للإناث فخير الأسماء ما وافق أسماء أمهات المؤمنين، أو الصحابيات الجليلات، أو النساء الصالحات، والمهم فى كل هذه الأسماء أن تكون عربية ولها معنى معبر، ويكره التسمى بالألفاظ الأجنبية، أو الأسماء التى تثير السخرية والاشمئزاز عند النداء بها.

٥- العقيقة: وهى ذبيحة تذبح عند السابع أو بعده لكل مولود ذكر أو أنثى، وهى سنة عند السعة **﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة**

(٣) رواه الترمزى والحاكم من حديث على.
(٤) سورة الطلاق: الآية ٧.
(٥) رواه أبو داود من حديث أبى الدرداء.
(٦) رواه مسلم من حديث ابن عمر

إلى ميسرة﴾[٧]، ويأكل منها الأهل والأقارب والفقراء والمساكين لقوله ﷺ: «على كل مولود عقيقة تعق عنه يوم السابع تميط عنه الأذى»[٨]، أما غير المستطيع فليس مطالباً بها، وليس عليه شيء بتركها.

أما ما يفعله الناس فى عصرنا يوم السابع من إطعام للطعام، وتوزيع لمعلبات أو أكياس مليئة بأنواع الحلوى والمكسرات فهى من باب الصدقات إذا نوى صاحبها بها ذلك على ألا يسرف فيها، ولا تخرج إلى المباهاة لقوله ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا فى غير سرف ولا مخيلة»[٩].

٦- الختان: وهو سنة للرجال ومستحب للنساء لقوله ﷺ: «الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء»[١٠]، وقد بدأت الأمم الغربية فى ختان الذكور والتشديد فى ذلك حفظاً لسلامة عضو الذكورة من الأمراض التى تتسبب من تراكم الميكروبات والجراثيم تحت القلفة وهى القطعة التى تحيط بعضو الذكورة من أعلى ويأمر الإسلام بإزالتها.

كما أن كثيراً من الباحثين الغربيين يطالبون بختان الإناث فى الحالات التى تحتاج لذلك نظراً للفوائد الكثيرة التى تعود على الأنثى من ذلك وفى ذلك تقول الباحثة الأمريكية مارى استوبس فى كتابها (المرشد فى العلاقات الجنسية): «إن من خير العادات عند المسلمين عادة ختان الأنثى لأن بعض الإناث يصل حجم البظر عندهن إلى قريب

---

(٧) سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

(٨) رواه البخارى من حديث سلمان بن عامر.

(٩) رواه ابن أبى شيبة عن ابن عباس.

(١٠) رواه أحمد والبيهقى والطبرانى عن الحجاج بن أرطأة.

من الذكر عند الرجل، ومثل هذه كلما احتك بظرها بملابسها الداخلية تهيجت الشهوة عندها»، والهدى النبوى فى ختان الأنثى هو قوله ﷺ: للمرأة التى كانت تزاول ذلك بين نساء الأنصار: «**يا أم عطية اخفضى ولا تنهكى، فإنه أنضر للوجه، وأحظى عند البعل**»[11].

تنبيه وعبرة

إذا رزق المرء بمولود جديد فهذه نعمة عظمى ساقها الله عز وجل إليه فعليه أن يقابلها بالشكر بأن يصلى ركعتين شكراً لله عز وجل، أو بأن يتصدق على الفقراءِ والمساكين، أو بأن يطعم الطعام، ومن تمام الشكر على هذه النعمة ألاَّ يظهر الفرح بذلك أكثر من اللازم أو يتباهى بذلك بين الأهل والأصحاب والجيران كما تفعل النساء، لأن هذا أمر لا يحصّله المرء بإرادته، ولا يناله باختياره، وإنما كما قال الله عز وجل: **﴿يهب لمن يشاء إناثاً، ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً، ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾**[12]، وقد نبّه إلى العبرة فى مجيء المولود الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وذلك فى قصة رمزية ساقها إلى تلاميذه حيث قال فيما روى عنه: ركب رجل البحر مع جماعة كثيرة، وبينما هم فى عرض البحر هبت عليهم ريح شديدة أغرقت السفينة بمن فيها، ولم يبق إلا لوح من ألواح هذه السفينة طفا على سطح الماء وتعلق به هذا الرجل، وصارت الأمواج تتقاذفه حتى اقترب من شاطيء جزيرة، وهناك رأى عجباً، فقد وجد جموعاً كثيرة

(١١) رواه أحمد وأبو داود عن أم عطية.

(١٢) سورة الشورى: الآيتان ٤٩، ٥٠.

على الشاطىء تنتظره ومعهم تاج المُلك، وعند وصوله إلى الشاطىء تصايحوا فرحين وألبسوه التاج ونادوا به ملكاً عليهم، وهتفوا بحياته، وساروا به فى موكب عظيم حتى أوصلوه إلى قصر الملك.

وبعد انصراف تلك الجموع أحضر كبار مساعديه وسألهم عن هذا الأمر، فأخبروه بأن هذه عادتهم المتبعة فى كل عام حيث يستقبلون ناج من البحر وينصبونه ملكاً عليهم لمدة عام، ويقومون بعده بقذفه فى وسط غابة مجاورة مليئة بالوحوش الكاسرة، ويبحثون عن غيره وهكذا دواليك.

فاستوضحهم عن الصلاحيات المخوّلة له، فأخبروه أن كل أمر له مطاع طوال سنة حكمه فعين أحدهم وزيراً وأصدر إليه ثلاث قرارات أمره بتنفيذها فوراً هى:

١- إزالة هذه الغابة بالكلية.

٢- بناء قصر مكانه يلائم أبهة الملك.

٣- زراعة حديقة حول القصر تحوى كل خيرات الأرض.

وعند انتهاء العام طالبهم بتنفيذ عادتهم فقالوا لقد فوّتّ الأمر علينا بحكمتك وحسن تصرفك ويسوق الأمام أبو العزائم رضى الله عنه العبرة فى هذه القصة حيث يقول: تشير هذه القصة إلى قصة كل مولود يخرج إلى هذه الحياة، فالطفل فى بطن أمه كالغريق فى وسط البحر، وعند ولادته ينزل مَلَك فيخرجه بلطف ورقة وحنان على ريشة من جناحه كالغريق الذى تعلق بلوح الخشب والجنين فى بطن الأم يحيطه الله عز وجل بالماء من جميع الجهات حتى لا يتأثر بحركتها واهتزازاتها،

ويتولاه الرزاق فيواصله بالهواء والماء والدواء والطعام عن طريق الحبل السرّى، ويخرج منه بواسطته كذلك الفضلات، وبعد نزوله إلى الأرض يلتف حوله الأهل والأحباب ويقيمون الزينات والاحتفالات، ويكون له السلطان على كل من حوله وعلى الأعضاء التى معه طوال عمره فى الدنيا فإن أساء فى تصرفاته وفى سلوكه قذفوا به إلى جهنم وبئس المصير، وإن أحسن لنفسه واستبدل مقعده فى النار بقصر فى الجنة بناه بعمله الصالح وبرّه وتقواه فهنيئاً له الحياة الطيبة الأبدية فى جوار الله وفى ذلك يقول القائل:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه
وإن بناها بشر خاب بانيها

نبات الله

فالإنسان نبات الله يتولى زراعته، ويتعهده برعايته، ويجنى ثمرة عمله الله عز وجل وإلى ذلك الإشارة بقوله عز شأنه: **﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدراً﴾**(١٣)، فالحق ينزّل الماء وهو منى الرجل من سماء الرفعة لأن الرجل أرفع قدراً فى حالة الوقاع، ويضعه فى أرض المرأة: **﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾**(١٤)، وهو يشبه

(١٣) سورة الكهف: الآية ٤٥.
(١٤) سورة نوح: الآية ١٧.

النبات فى هيئته وإن كانت حالته مقلوبة فالرأس بما فيها من حواس بمثابة الجذر فى النبات حيث به حواس النبات والقوة الغاذية وغيرها والجسم كالجذع للنبات والأزرع والأرجل كالسيقان والأوراق ويمر الإنسان بمراحل النبات فيكون صغيراً ثم شاباً فتياً غضاً طرياً، ثم رجلاً قوياً ثم شيخاً، ثم يكون حصاده من الذى يحصده؟ الزارع له وهو الله عز وجل فإن كان زرعاً له ثمرة من الصالحات والقربات فهنيئاً له الجنة، وإن كان زرعاً ليس له ثمر من الطاعات والخيرات فهو حطب توقد به جهنم: ﴿**وقودها الناس والحجارة**﴾[15].

ولذلك ورد فى الأثر أن الناس كالشجر، فمن الشجر من له ظل وله ثمر، ومنه من له ظل وليس له ثمر، ومنه من ليس له ظل ولا ثمر.

فأما الصنف الأول الذى له ظل وله ثمر فكالعلماء العاملين والأولياء والصالحين، فمن الناس من ينتفع بالجلوس معهم ولو لم يسمع علمهم لأنهم يوجهون الناس بعلمهم وينهضونهم بحالهم، ويدعونهم إلى الصراط المستقيم بسلوكهم وهديهم، ومنهم من يقبل على علومهم الإلهامية يغترفون منها وهى ثمرة طاعاتهم، ونتاج إخلاصهم لقوله ﷺ: «**من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يكن يعلم**»[16]، وأولئك هم المقربون.

وأما الذى له ظل وليس له ثمر فكأهل اليمين من المؤمنين وهم صالحون فى أنفسهم، مطيعون لله عز وجل بأعمالهم، ينتفع بهم

---

(١٥) سورة التحريم: الآية ٦.

(١٦) رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس.

من يجالسهم لتأثره بسلوكهم وأخلاقهم، وإن كانوا لا يوجّهون غيرهم بأقوالهم، ولا يرشدونهم بتوجيهاتهم، فيكفيهم أنهم يعزلون شرهم عن غيرهم، ويسلم الخلق من أيديهم وألسنتهم.

وأما الذى ليس له ظل ولا ثمر فكالفاسق والفاجر فلا هو ينفع نفسه بقوله أو بعمله ولا ينتفع به غيره، بل إنه يجلب الضر لنفسه بسوء فعله، ويصيب غيره بضره فهو كشجرة الشوك كل من مرّ بها آذته وكذلك هو يؤذى الناس بلسانه بالسب والشتم والغيبة والنميمة وغيرها، ويؤذيهم بيده بشكاية أو سرقة أو قتل وهكذا.

فالمؤمن يجب أن يكون كالشجرة الطيبة من يأوى إليها يجد العطف، ويشعر بالحنان والرقة، ويحس باللطف والأنس، ومن يلمسها يشم منها رائحة القرآن، وأخلاق النبى العدنان، وأحوال الصالحين والمتقين فيكون كما قيل فى الأثر «عاشروا الناس معاشرة، إن عشتم حنّوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم» ومثل هذا هو الذى فهم الحكمة من الأذان والإقامة فى أذن المولود فالأذان والإقامة يقتضى صلاة فمتى هذه الصلاة؟ إنها صلاة الجنازة لهذا العبد لأنها تصلى بدون أذان أو إقامة، فكأن عمر العبد مهما طال فهو كما بين إقامة الصلاة وتكبيرة الإحرام فى افتتاح الصلاة فما أصدق قول القائل:

دقات قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان
فاعمل لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثان

وما أجمل قول الإمام أبى العزائم رضى الله عنه:

يا أيهـا الماء المهين من الذى ســوّاك
ومن الذى في ظلمة الأحشاء قد والاك
يا نطفــة بقـــرارها قـــد صــوّرت
مـن ذا الـذى بـحـنـانـه أنـشـــــاك
ومن الذى شقّ العــيــون فــأبصــرت
ومن الـذى بظـهـــــوره أعـــــلاك
ومن الذى غـــذّاك من نعــمـــائه
ومن الكروب جـمـيـعـهـا أنجـاك
ومن الذى تعـصى ويغـفــر دائمــاً
ومـن الـذى تـنـسى ولا يـنـســـــاك
ومن الذى بألست أســمــعك الندا
ومـن الـذى بـوصـــــالـه نـاداك
ومن الـذى يدنو إليك بفـــضلـه
وإذا ســـــألـت جـنـابـه أعـطـاك
ومن الذى عند الشـدائد تقــصــدن
ومن الـذى إن تســـألن لبـــاك
ومن المجـــيب إذا ســـألت جنابه
وإذا طـــلـــبــت وداده أعـــطـــاك
ومن الذى منح الجـمـيل بفـضله
ومن الـذى بتلطف أحـــيـــاك

ومن الذى كـشف الحـجـاب تودّداً
حـــتى رأت أنواره عـــيناك
ومن الذى مــلأ الفــؤاد بحــبــه
وبســره عند الصــفــا ناجــاك
ومن الذى أولاك نور جـــمــاله
وبذكـــره وشـــهـــوده صـــافـــاك
فكر تراه ظاهراً بجـــمــاله
مـــــتنزلاً وهـو الـذى والاك
بك قد سمعت – لك اعترفت – فنظرة
أعطى بهــا يا ســيـدى جــدواك
والوجــه أشــرق حــولنا بجــمــاله
وعــيــوننا قــد تشــهـد الأمــلاك
سلّم على المحــبــوب نور قلوبنا
طه الذى بجـــمــاله حــلاك

والشـاعر الحـكيم قال:

وفى قــبض كفّ الطفل عند ولادة
دليل على الحـرص المركب فى الحى
وفى بسطهــا عند الممـات إشــارة
ألا فــانظروا أنى خــرجت بلا شى

الفصــل الثـانى

منهج العناية بالطفل فى الإسلام

* أسرار الرضاعة الطبيعية
* تأثير الرضاع فى الطباع
* كراهة الحمل أثناء الرضاع، والرضاع وقت الجماع
* رعاية الصبيان
* تهذيب الصبى
* تدليل الصبى
* تقويم الصبى
* التقويم بالعقوبة
* العقاب بالضرب فى الإسلام



أسرار الرضاعة الطبيعية

أكد الله عز وجل على أمر مهم تنصلت منه بعض الأمهات في عصرنا هذا، وبدأن ينصحن أنفسهن بذلك لاسيما اللاتى يذهبن إلى ميادين الأعمال حيث تنصح إحداهن الأخرى قائلة: إياك أن ترضعى طفلك بثديك، فذلك يجعل صدرك يتهدل، وبذا يكون قوامك غير رشيق لكن الله عز وجل كما قال فى كتابه: ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾[1]، فقد خرج علينا الطب الحديث ليحذرهن من ترك الرضاعة الطبيعية عن طريق ثدى الأم أو التهاون بها، لأن ذلك يعرض الأم لمرض سرطان الثدى والذى ثبت علمياً أن الرضاعة الطبيعية هى خير وسيلة لاكتساب المرأة المناعة من الإصابة به، فالمرأة التى تخشى من إرضاع طفلها خوفاً على مظهرها، قد تتعرض لإزالة الثديين بالكلية إذا أصيبا بهذا الداء الخبيث وصدق الله إذ يقول: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾[2]، والحول هو سنة هجرية كاملة وكل الأحكام الخاصة بأمور النساء فى القرآن من حيض ونفاس وعدة وحمل ورضاع تحسب بالأشهر الهجرية لأنها هى التى نزلت بها الأحكام التشريعية.

ولذا أمر الله عز وجل بالرضاعة من ثدى الأم وحث عليه حتى فى أحلك الظروف فهذا فرعون مصر عندما أصدر أمراً لجنوده بقتل

(١) سورة الفجر: الآية ١٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

كل مولود يولد ذكراً لبنى إسرائيل خشية زوال ملكه، وكانت أم موسى حاملاً به، فأعدت خطة لاخفاءه عن فرعون وجنوده عقب ولادته، ولم تفكر فى أمر رضاعه، ولكن الله عز وجل لإحاطته سبحانه وتعالى بأثر هذه الرضاعة الطبيعية أشار عليها بذلك قائلاً: **﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافى ولا تحزنى، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾**[٣]، ومن أجل أن يؤكد لنا الله عز وجل على أهمية هذه الرضاعة حرّم على موسى أثداء النساء ووجه أخته لتقتفى أثره، وتتعرف على خبره، فلما وجدته لا يرضع دلتهم على أمه فأرجعه الله عز وجل إلى أمه ليرضع من ثديها حرصاً عليه وإلى ذلك الإشارة بقول الله عز وجل: **﴿وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون، وحرّمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾**[٤].

لماذا كل هذه العناية من الإسلام بالرضاع من ثدى الأم؟.

لأن بالثدى المعمل الإلهى الذى جهّزه الله عز وجل لتغذية وإرواء وتحصين الولدان، ومهما تقدمت البشرية فى العلم، واخترعت من أجهزة ومعدات، فلن يستطيع أفذاذ العلماء أن يجهزوا معملاً لتغذية الطفل الرضيع بهذه الكيفية الإلهية، فإنه ينزل اللبن بقدر معلوم على قدر حاجة الصبى فأول جرعة تخرج من هذا المعمل للطفل عقب ولادته وتسمى

(٣) سورة القصص: الآية ٧.

(٤) سورة القصص: الآيات ١١ : ١٣.

اللبأ (المسمار) تحوى كل العناصر التى يحتاجها جسم الطفل لتنشيط أعضاءه وتأهيله لمواجهة هذه الحياة، كما أنها تحوى تطعيماً واقياً لكل الأمراض التى يتعرض لها الطفل فى هذه الفترة، وهكذا يقوم الثدى بإمداد الوليد بما يحتاج إليه من عناصر غذائية وأمصال وقائية كلما تقدمت به السن، وليس هذا فقط بل إنه يجعل اللبن للطفل حاراً شتاءً بارداً فى الصيف، حتى لا يتعرض الطفل للنزلات المعوية والإصابات الصدرية التى يتعرض لها من يرضعون بالوسائل الصناعية، ويستغنون بها عن الرضاعة الطبيعية، والأعجب من هذا أن هناك جهازاً غير مرئى يتخاطب بلغة ربانية بين معمل الألبان فى ثدى الأم وبين الطفل فعندما يحس الطفل بالجوع، تجد المعمل الربانى بالثدى وقد جهز الوجبة الكاملة والأم تترجم عن ذلك قائلة: أشعر بأن اللبن كثير فى ثديى فقد طلبه الطفل بطريق غير مباشر، فجهزه له الإله القادر.

كيف يلتقم الطفل حلمة ثدى الأم؟ وكيف يقوم بمص الثدى ليدر اللبن؟.

إن ذلك كله يتم بإلهام مباشر من الله، ولذلك حتى بعد نمو أسنانه فإنه لا يؤذى الثديين بهـا؛ بينما ينزل اللبن معقماً تعقيماً كاملاً، مع مراعاة تدرج النمو للطفل فمثلاً عند ظهور أسنانه تجد نسبة الكالسيوم تزيد فى اللبن لحاجة الأسنان إلى هذا العنصر فى نموها.

ومن بديع صنع الله عز وجل أن الأم التى ترضع طفلها من ثديها يرجع رحمها إلى حالته العادية بإذن الله فى وقت يسير حيث أثبت الطب الحديث أن هناك علاقة بين حركة مص الثديين للطفل وانقباض

عضـــلات الرحــم، أضف إلى ذلك أن الرضـــاع يحفظ نسـبة كبيرة من الأمهـات من الحمل أثناء رضاعهـا لطفلهـا، وقاية من الله عز وجل وعناية منه سبحانه وتعالى بالأم وطفلها.

تأثير الرضـاع فى الطبـاع

إن الأسرار الطبية والعلمية للرضاعة الطبيعية كثيرة جداً لا نستطيع حصرها فى هذا المختصر، ولكن القرآن الكريم يلفت نظرنا إلى أمر غريب يحدث للطفل الذى يرضع من ثدى أمه وهو أن الأم مع رضاعها لطفلها تعطيه حنانها، وتمده بعطفها، وتوليه شفقتها، وتؤثر فيه برحمتها فيشب الطفل حليـمـاً لا يغـضـب بسـرعـة، ولذلك نجـد الطفل الذى يرضع بالوسائل الصناعية سريع النرفذة، كثير الضجر، ملول، لأنه لم يرضع الحنان والعطف والشفقة من أمه وقد قال الحكماء فى ذلك: إن الرضاع يغير الطباع. ومن أعجب ما روى فى ذلك أن الإمام الحسن البصرى رضى الله عنه وهو إمام التـابعين فى الزهد والورع والفـقـه إنما يرجع السبب فى ذلك إلى مصة لبن مصها من ثدى السيدة أم سلمة رضى الله عنها زوجة النبى، وتفصيل ذلك أن أمه كانت تخدمها، وكانت السيدة أم سلمة ترسلها فى قضاء مصالحها، وترقب طفلها حتى تحضر، فكان أحياناً يبكى فكانت تعلله بوضعها لثديها فى فمه؛ وإن كان ليس به لبن، لأنهـا كانت قـد تجاوزت الثمانين وشـاءت إرادة الله عـز وجـل أن تحدث المعجزة، ففى إحدى هذه المرات إذا بالثدى يمتلىء باللبن

ويرضع منه الطفل حتى يشبع، وقد أرجع العلماء سر علو شأنه فى العلم والفقه والورع والزهد إلى هذه الرضعة.

وقد حدث أيضاً فى عصرنا أن أسلم رجل نصرانى على يد الإمام أبى العزائم رضى الله عنه فسماه صهيباً الرومى، ولأنه كان يجيد قيادة السيارات فقد جعله سائقه الخاص، وذات يوم قال له: يا بنى زر أمك التى أرضعتك لبن الإسلام. فتعجب من هذا الكلام، وذهب إلى أمه بالإسماعيلية وكانت قد هداها الله للإسلام وسألها عمن تكون المرأة التى أرضعته غيرها، فأخبرته أنها بعد ولادته مرضت مرضاً شديداً وأجرت على أثره عملية جراحية، وقد منعها ذلك من إرضاعه لمدة ستة أشهر كاملة، فتولى إرضاعه فى تلك الفترة جارة لهم مسلمة ذكرتها له، فعلم علم اليقين أن تلك الرضاعة، وذلك اللبن هما السبب فى هدايته إلى التوحيد، وإصابته فطرة الله التى فطر الناس عليها.

لهذا كله أمرنا الله عز وجل أن نرضع الطفل من الأم، حتى أنه لو حدث شقاق بين الزوجين، وانفصلت الأم عن زوجها فإن الشريعة الإسلامية تلزم الأب أن يسلم الطفل إلى الأم لترضعه من ثديها ويدفع لها الأب تكاليف رضاعها، ويعطيها أيضاً أجراً على إرضاعها لطفلها. إلا إذا رفضت الأم ذلك فعلى الأب أن يحضر للطفل امرأة أخرى ليرضع من ثديها أيضاً ويتحمل تكاليف ذلك وإلى ذلك الإشارة بقول الله عز وجل: **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لا تكلف نفس إلا وسعها، لا تضار والدة بولدها، ولا مولود له بولده وعلى الوارث**

مثل ذلك فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾(٥).

وتلك عناية لم يسمع بها الأولون ولا الآخرون نحو الطفل الرضيع وفي ذلك يقول العارف بالله تعالى الشيخ محمد على سلامة فى كتابه (خواطر إيمانية) ص١٢: إن الأم ترضع الولد مع لبنها الرحمة والعطف والحنان والحب والوفاء والإخلاص والبر والود والإحسان ومعان كثيرة تتعلق بصفات الأم من الإيمان والشجاعة والثبات على المبدأ أو التفانى فى سبيل الحق والواجب وحب الوطن وغير ذلك، ويظهر ذلك من قول الله تعالى: **﴿وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه﴾** وما أحسن قول حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الإعراق
الأم روض إن تعهده الحيا
بالرى أورق أيما إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الأولى
شغلت مآثرهم مدى الآفاق

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

كراهة الحمـل أثنـاء الرضـاع
والرضاع وقت الجماع

إن الإسلام بلغ أرقى ما وصلت إليه الحضارات قاطبة فى عملية الرضاعة الطبيعية ومن عجائب وصايا رسول الله ﷺ فى هذه الناحية قوله: **«لا تقتلوا أولادكم سراً فإن الغيـل يدرك الفـارس فيدعثره عن فرسـه»**[٦]، والغيل هو أن تحمل الأم وهى ترضع، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الحمل أثناء الرضاعة –والنهى هنا على سبيل الكراهة– حتى تأخذ الأم قسطها من الراحة بعد عناء الحمل والولادة، ويأخذ الرضيع حقه من الرعاية والعناية التى أوجبها الله عز وجل له، فالأم إذا حملت يتغير اللبن فى صدرها فيضر رضيعها، وهذا بالإضافة إلى أنها لا تستطيع أن تغذى الجنين والرضيع فى وقت واحد، فلابد أن تتفرغ لواحد منهما وفى ذلك يقول العارف بالله تعالى الشيخ محمد على سلامة فى كتابه (خـواطر إيمانيـة) ص١٦ : ومعنى الحديث والله أعلم أن لا تأتوا الأمر المستتر بينكم وهو الوطأ أثنـاء إرضـاع أولادكم فيتسبب عنـه الحمـل الذى يودى بحياة أولادكم، وهذا توجيه كريم من رسول الله ﷺ، وتنبيه إلى أن مباشرة الزوجة أثنـاء رضاعها إغتيـال لحق الطفـل وهضم له، لأن فى هـذا هـلاك له سراً أى بطريقة لا يعرفهـا أحـد إلا الخاصـة من الأطبـاء والعلمـاء بسنة النبى ﷺ، لأنه هو الطبيـب الذى بعثـه الله لعلاج الإنسانية، وحل مشاكل المجتمع فى كل ناحية من نواحى الحياة. وهـذا الحديث يعتبر من الإعجاز النبوى الذى يخبر عن دقائق العـلوم

(٦) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والطبرانى عن أسماء بنت يزيد بن السكن.

التى كشف عنها الطب بعد طول الزمن مع ملاحظة أن الرسول ﷺ قال: **«لاتقتلوا أولادكم سراً»** كأن حمل المرأة أثناء إرضاعها الطفل قتلاً له.

وقد نبه الإسلام على أمر طبى عظيم، وهو ألا ترضع الأم طفلها بعد قيامها بمجهود جسمانى أو عصبى كبير، فنهى الأم عن إرضاع طفلها بعد الجماع إلا بعد أن تغتسل، أو تغسل ثديها، لماذا؟.

لأن الدم يجرى فى جميع عروقها فى تلك اللحظة، فربما ينزل اللبن مختلطاً بالدم فيمرض منه الطفل فتكون هى التى أمرضته، لأنها لم تلتزم بأحكام الله، وبأوامر سيدنا رسول الله ﷺ، وفى ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (أسرار القرآن) جـ٢ ص٥٢: «فإن نكاح الرجل زوجته وهى ترضع سبب فى إمراض المولود إلا إذا احتاط لنفسه فأمرها بالامتناع عن رضاع الولد حتى تطهر لأن هذا النكاح يجعل الدم يسرى فى الثديين، فإذا أرضع الولد عقب الجماع مباشرة تسمم وأكثر أمراض الأطفال من هذا العمل الجاهلى».

وقد أبدى الرسول الكريم ﷺ إعجازاً فى إدراكه لأسرار بكاء الطفل، وذلك حين أشار علينا بعدم التخوف من كثرة بكائه فقال ﷺ: **«بكاء الطفل تسبيح»** ولم يكتشف هذا السر إلا فى العصر الحديث حيث يطالب الأطباء بترك الطفل الرضيع يبكى، وعدم التسرع فى كفه إلا إذا زاد عن قدر الاعتدال، لأن ذلك البكاء يعمل على توسيع الصدر والرئتين، فسبحان الخلاق العليم، الذى قدر كل شىء خلقه ثم هدى.

فإذا شب الطفل ودرج يبدأ الوالدان فى ترويضه على المبادىء الدينية، ليشب عليها، أنسابها، متعشقاً لها، وليعلما علم اليقين أن أول طريق يكتسب به الصبى القيم والآداب هو المحاكاة والتقليد وخاصة لوالديه لأنهما المثل الأعلى لناظريه فى هذه المرحلة المبكرة وقد نبه إلى خطورة انتقاش ما يصدر عن الوالدين فى أذهان الأولاد، وتقليدهم فيه، ونشأتهم عليه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وقد روى ذلك عبد الله بن عامر فقال: دعتنى أمى يوماً ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا، فقالت: ها، تعالى أعطيك. فقال لها رسول الله ﷺ: **«ما أردت أن تعطيه؟»** فقالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال: **«أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة»**[7].

وتتركز رعاية الصبيان فى هذه الفترة على الآداب والأخلاق وقد أشار الغزالى فى كتابه (إحياء علوم الدين) إلى نموذج من رياضة الصبيان منها: عدم لبس الملابس التى توحى بالأنوثة والنعومة، ومقاطعة من يلبسونها، والاجتهاد فى تعليم الصبى حكايات الأخيار ليغرس فى نفسه حبهم والاقتداء بهم، وعدم تعويده النوم فى الفراش الوثير حتى لا يألف النعومة، وأن يعوده الأخلاق الاجتماعية، بعدم الفخر على أقرانه بما يملكه والده، أو بشىء من مطاعمه وملابسه، وأن يعف عما فى يد غيره من الأغنياء أو الفقراء، كما يعوده الصدق وعدم الحلف، وأن يحسن الاستماع ولا يبدأ الكلام إن كان معه من هو أكبر منه،

---

(٧) رواه أحمد وأبو داود والبيهقى.

وأن يصون لسانه عن اللغو والسب، ولا يخالط من يفعلون ذلك وينبه الشيخ عطية صقر فى كتابه (تربية الأولاد فى الإسلام ص٣١١) إلى خطورة هذه المرحلة فيقول: «وليحذر المربى أباً أو أماً أو معلماً أن يلقن النشء معلومات خطأ، أو تسليتهم بحكايات خرافية، وليبعد كل البعد عن القصص الغريب الذى يروع الطفل، أو يضلله أو يشوه أفكاره، كما يجب أن تتنبه الأم على الخصوص إلى خطر الأغانى التى ترقص بها الطفل وتدلله، فإن سمعه إذا تعودها حفظها، والمعلومات التى تحويها ترسخ فى ذهنه ويصعب انتزاعها، وهو يتصرف على هديها إن عاجلاً أو آجلاً، وخطر الإذاعات المسموعة والمرئية فى هذا المجال كبير، فلنجتهد أن تكون الأغانى والأناشيد حاملة معانى الرجولة والبطولة والعفة والأمانة والإخلاص والوفاء وطاعة الوالدين وحب الوطن وسائر الأخلاق الحميدة».

تهذيب الصبى

ومع مراقبة الوالدين الفاحصة أوصى الإمام الغزالى الأب أو المربى أن يتجاوز عن أول مخالفة يحدثها الصبى، فلا يهتك ستره ولا يكاشفه، ولاسيما إذا سترها واجتهد فى إخفائها، لأن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة، وإن عاد ثانياً عوتب سراً، ويهدده بالعقاب إن تكررت مخالفته، وألا يكثر عليه من اللوم فى كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة، وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام فى قلبه، وأن يكون الأب حافظاً هيبة الكلام معه ولا يوبخه إلا أحياناً، كما يوصى بأن تكون المؤاخذة بالتعريض لا بالتصريح حتى لا يجرح إحساسه ويغريه بالعناد.

فإن لم يفـد ذلك صرح بالإنكار وعاقب بما يراه وهـــذا مأخـوذ من هدى النبى ﷺ، فإنه كـان إذا رأى تقـصيـراً من بعضـهم نبـه عليه بالعنوان العام، أو بعدم تحديد الشخص الذى وقعت منه المخالفة، فعن أنس ابن مـالك قـال: قال رسـول الله ﷺ: **«ما بال أقـوام يرفعون أبصـارهم إلى السـمـاء فى صـلاتهم»**[8]، وفى رواية أبى داود عن عـائشـة: كـان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً قال: **«ما بال أقوام يفعلون كذا وكـذا»** ونسوق هنا نصيحة لقمان الحكيم الجامعة لولده حيث يقول له: يا بنى خذ عنى هذه الخصال الثمانى:

الأولى: إذا كنت فى الصلاة فاحفظ قلبك.

الثانية: إذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك.

الثالثة: إذا كنت فى نعمة فاحفظها بالشكر والأدب.

الرابعة: إذا كنت فى دار غيرك فاحفظ عينيك.

الخامسة: كن ذاكراً لله الخالق الحى الذى لا يموت.

السادسة: كن ذاكراً للموت لأنه كأس يشربه الجميع.

السابعة: كن ناسياً إحسانك إلى الآخرين.

الثامنة: كن ناسياً إساءات الآخرين إليك.

يا بنى لا تذكر آلامك للآخرين فأغلبهم لا يهتم بهـا، إعتبر بمن مضى قبلك، ولا تكن عبرة لمن يأتى بعـدك، صـل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك.

---

(٨) رواه البخارى.

العظيم من يبتسم عندما تكون دموعه على وشك الانهيار - عن كتاب (الإسلام ورعايته للطفولة) الشيخ منصور الرفاعى عبيد ص٢٢.

تدليل الصبى

يحث الإسلام على تدليل الطفل بأنواع التدليل المختلفة المقبولة، لإيناسه وربط قلبه بمن حوله، ويرغب الكبير أن يتنزل إلى درجة ملاعبة الأطفال ليكون معهم بقلبه وعواطفه وتصرفاته بعض الوقت وقد روى أن جبلة بن سحيم دخل على معاوية بن أبى سفيان وهو فى الخلافة، فرأى فى عنقه حبل يقوده به صبى له، فظهر على وجهه الاستنكار، فلما رأى معاوية ذلك قال له: يا لكع إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من كان له صبى فليتصاب له»**(٩)، وكان النبى ﷺ يدلل الحسن والحسين وأسامة بن زيد فقد روى البخارى عن أسامة قوله: كان رسول الله ﷺ يأخذنى فيقعدنى على فخذه، ويقعد الحسن على الأخرى وروى أحمد عن عائشة أن أسامة عثر بعتبة الباب فدمى فجعل النبى يمصه ويقول: **«لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها»** وروى عنه ﷺ أنه بينما كان يصلى بالناس إذ جاء الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه حدث أمر، فلما قضى صلاته قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر، فقال: **«إن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته»**(١٠).

---

(٩) أخرجه ابن أبى الدنيا وابن عساكر.

(١٠) رواه النسائى والحاكم وأحمد عن شداد بن الهاد عن أبيه.

هــذا هو الأدب النبوى الذى يعلمــه لنـــا رسـول الله ﷺ حـتى وهو فى الصـلاة، ولذلك فقـد تعلق به ﷺ الصبيـان، وكـانوا يتلمسـون موضعه، فقد ذهب إليه الحسن فى ليلة شاتية والجو مظلم، وبعد أن أخذ حظه همّ بالذهاب إلى أمه، فاستأذن رجل من أصحابه ﷺ فى مصاحبته فقال ﷺ: «دعه»، فإذا بمصباح من نور يضىء أمامه وهو يمشى خلفه حتى وصل إلى أمه وقد كان عمره إذ ذاك ثلاث سنوات.

وأيضـاً كـان ﷺ يخطب على منبـره وإذا بالحسن يدخل المسـجد ويتـوجـه إلى رسـول الله ﷺ وهو يقـول أبى أبى فنزل ﷺ من فـوق منبـره واحتضنه وقبله ثم حمله وصعد المنبر وأكمل خطبته وهو يحمله، ليعلمنا الرحـمـة والشـفـقـة والعطف والحنان ﷺ، ولذلك لما جاءه أحد الأعراب القساة ورآه ﷺ يقبل الحسن فقال: أتقبلون الصبيان يا رسول الله، إن لى عشرة من الولد ما قبلت أحـداً منهم فقـال له النبى ﷺ: **«من لا يرحم لا يرحــم»**[11]، وفى رواية له عن عائشـــة: **«أو أملك أن نزع الله من قلبـــك الرحمـــة»**، وإن كان هـنـــا أدب عال يجب أن نشـير إليـه وهو أن السيدة فاطمة رضى الله عنها كانت تحرص على طهارة أولادها الحسن والحسين لعلمها بشدة تعلقهم برسول الله ﷺ حرصاً منها على دوام طهارة ثيابه.

والحق أن هذه الملاطفة تهب الطفل دفئاً وحناناً يظهر أثرهما على صحته، وتعلقه بوالديه ومحبته لهما ويصف ذلك الأحنف بن قيس حين سأله معاوية عن رأيه فى الولد فقال: ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن

(١١) رواه البخارى عن أبى هريرة.

لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فاعطهم، وإن غضبوا فارضهم، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك (العقد الفريد جـ١ ص١٩٦).

على أن يحرص الوالدين على ألاّ يصل التدليل بالطفل إلى الفساد والانحلال فالأمر كما قال القائل:

قسى ليزدجروا ومن يك حازماً
فليقسوا أحياناً على من يرحم

فالوسط هو المحمود فى كل شىء، فلابد مع اللين والرحمة من شىء من الشدة إذا لزم الأمر وذلك يقتضى من الوالدين مراقبة الطفل بدقة فى كل تصرفاته لتقديم التوجيهات المناسبة فى الوقت المناسب، لأن الإهمال يغرى الطفل بالتهاون، والنفس تميل إلى الراحة والانطلاق من القيود، والغرائز عند الناشئين قوية، والمقاومة العقلية ضعيفة عندهم.

ولذلك فالرسول ﷺ مع شدة رحمته بالأولاد عندما التقط الحسن تمرة من الصدقة قال له: **«كخ كخ»**[١٢] وضربه وأخذها منه ورمى بها، وروى أبى داود أن عمار بن ياسر قال: قدمت على أهلى ليلاً وقد تشققت يداى، فخلقونى بزعفران، فقابلت الرسول ﷺ صباحاً فسلمت عليه فلم يرد السلام ولم يرحب بى. وقال: **«اذهب واغسل عنك هذا»** فغسلته ثم جئته فسلمت عليه فرد على ورحب بى. وقد جاء فى وصية الرشيد لمؤدب ولده: «ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه،

(١٢) رواه البخارى.

وقومه بالتقريب والملاينةو فإن أبى فالشدة» وهكذا فالطريق فى رياضة الصبيان والاهتمام بتربيتهم من أهم الواجبات وأعظمها شأناً وأروعها قدراً وأثراً، لأن تربية الطفل أهم شيء فى هذه الحياة وأكبر دعامة فى بناء الأجيال ومستقبل الآمال وقيام مجتمع صالح تعتمد عليه الروحانية الإسلامية، وتقوم به الأخلاق الحسنة، والصبى أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة في يديهما قابل لكل نقش، مائل لكل صورة فإن عوّدته الخير وعلمه نشأ عليه وتربى خير تربية يسعد بها فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبواه وكل من اشترك فى تلقينه الفضيلة وتوجيهه إلى هذه الناحية من نواحى الحياة الدينية والسعادة الروحية، وإن عودته الشر وتركته فيه وأهملته فى مراتع السوء ومزالق الشرور شقى وهلك وكان الوزر فى عنق القيّم عليه والمتولى أمره. فينبغى أن تعوّد الطفل على الفضيلة، وتربيه على محاسن الأخلاق وجميل الصفات، ولا تتسامح معه فى ترك الصلاة والصيام وسواهما من الواجبات الشرعية، ولا تدعه يتخبط مع الصبيان فى ميادين اللهو واللعب، ونوادى الفحشاء والمنكر وغيره من رذائل الأخلاق حتى يبلغ وتتمتع سنه بالحكمة والعقل.

ومن الأمثلة الطيبة فى هذا المجال ما يرويه سهل بن عبد الله عن نفسه حيث يقول: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالى محمد بن سوار فقال لى يوماً ألا تذكر الذى خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معى، الله ناظر إلىّ، الله شاهد علىّ.

فقلت ذلك ليالى ثم أعلمته فقال: قل فى كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلته فوقع فى قلبى حلاوته.

فلما كان بعد سنة قال لى خالى: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة فى سرى، ثم قال لى خالى يوماً: يا سهل من كان الله معه وناظر إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بى إلى المكتب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين وكنت أصوم الدهر، وكنت أقوم الليل كله (من كتاب النفس أمراضها وعلاجها فى الشريعة الإسلامية لمحمد الفقى ص١٦٢) فتعود الطفل على الأخلاق الفاضلة وطاعة الله تعالى تكسب سعادة الدنيا والآخرة.

تقويم الصبى

إن منهج التربية الإسلامية يربى الناس على الخوف مما ينبغى أن يخافوه، والتعلق بما ينبغى أن يتعلقوا به، وينفى عن القلب البشرى الخوف مما لا ينبغى أن يخاف، والتعلق بما لا ينبغى التعلق به.

يربيهم على الخشية والتقوى لله، والخوف من عذاب الله وغضبه المؤدى إلى العذاب، وعدم الخوف من شىء أو على شىء آخر. ويربيهم على التعلق بالله، وطلب العون منه وحده لا من أحد من خلقه، والتعلق بالآخرة ونعيمها، ورضوان الله المؤدى إلى النعيم، وعدم التعلق بما يشغل الإنسان عن هذا الأمر، ومن النماذج الطيبة فى ذلك ما روى

أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه مر على مجموعة من الصبيان فلما رأوه جروا جميعاً ماعدا عبد الله بن الزبير فسأله عمر: لم لمْ تفعل كما فعل بقية الصبيان؟

فأجابه: لم أفعل شيئاً يستحق العقوبة فأخاف منك، ولم يكن الطريق ضيقاً فأوسعه لك ومن هنا تكون التربية بالمثوبة والتربية بالعقوبة وسيلتين أساسيتين من وسائل التربية للإنسان -كل إنسان- والطفل أولى بطبيعة الحال.

ففى المرحلة الأولى تكون عملية التشجيع للطفل ضرورية دائماً، لأن الأعمال التدريبية التى يقوم بها ليستكمل نموه كالمشى والوقوف والكلام شاقة ومجهدة، ولابد من حفزه عليها حفزا لكى لا يتوقف نموه.

والتشجيع قد يكون بابتسامة، أو بقبلة حانية من الأم أو الأب، أو بتربيته على جسمه أو بإحداث ضجة كبيرة حول الطفل يشعر فيها بالاهتمام الشديد به وبجو المودة حوله، أو بلعبة تعطى له كمكافأة على الجهد الذى بذله، أو بشىء من الحلوى والطعام، أو بأى شىء مما يعرف الوالدان من دراستهما لطفلهما أنه محبب إليه ومن ثم فهو مشجع له.

التقويم بالعقوبة

أما العادات السيئة التى يتعرض لها الطفل، وهى كثيرة فلابد من إبطالها ولو كان فى ذلك مشقة على الطفل وعلى والديه كذلك، والخوف من إزعاج الطفل أو مضايقته بمنعه عن عاداته السيئة المحببة إليه، أو الخوف عليه من تأثير عملية الزجر على مشاعره وأعصابه، معناه

أننا سنتركه لعاداته السيئة تلك، تستفحل وتستعصى على العلاج فيما بعد، أو تترك آثاراً مفسدة فى شخصيته فى المستقبل.

ويرد الأستاذ محمد قطب فى كتابه (منهج التربية الإسلامية) جـ٢ ص١٣٩ على الدعاوى التى سببتها النظريات التربوية الحديثة التى تعتمد على التربية بالمثوبة وحدها دون التربية بالعقوبة فيقول: «ولكن التشجيع وحده قد لا يكفى، ولا شغله عن العادة السيئة بأخرى، إذ تكون العادة السيئة أشد تأصلاً فى نفسه، أو يكون هو أشد تعلقاً بها، بحيث لا يلهيه شغله عنها ولا تشجيعه على تركها، عندئذ ليس أمامنا خيار فى صرفه عنها بالزجر اللين فى بادىء الأمر، ثم الحاسم فى نهاية الأمر، ولو أدى ذلك إلى استخدام العقوبة البدنية فى نهاية المطاف، ذلك أنه من المحتم -لصالحه هو نفسه- أن يكف عن هذه العادات السيئة، ولابد من الوصول إلى إبطالها بأى وسيلة، فإذا لم تجد الوسائل اللينة كلها فما العمل إلا استخدام وسيلة خشنة؟!.

ولا خوف على الطفل من العقد ولا الكبت ولا ضمور الشخصية ولا شيء مما تلوكه النظريات المريبة كلها مادام الزجر أو العقاب لا يتجاوز الحد المعقول.

والحد المعقول تحدده حكمة المربى وخبرته، وتقرره كذلك طبيعة الطفل ذاته.

ثم إن التشجيع الذى تريد تلك النظريات المريبة أن تجعله هو الوسيلة الوحيدة للتربية، ليس سلاحاً مأموناً فى كل حالة ولأى مدى من الزمن بلا حدود بل إن له مخاطر، وينبغى الكف عنه بمجرد أن تظهر هذه المخاطر.

وأكبر المخاطر فيه أن يتحول عند الطفل إلى شرط للقيام بالعمل المطلوب أو الكف عن العمل غير المرغوب، أى أنه يمتنع عن الإتيان بالعمل إذا لم يجد حافزاً عليه، أو يمتنع عن الكف عن عمل سيىء حتى يقبض الثمن للكف.

هنا تصبح المثوبة شراً خالصاً لا خير فيها، لأنها تعوق الإحساس «بالواجب» الواجب الذى ينبغى أن يعمل لأنه واجب فى ذاته لا لأنه هناك أجر عليه. وهذا تعويق للنمو النفسى، وإفساد كذلك للشخصية».

وهكذا فينبغى أن ننتقل بالتشجيع درجة درجة مع مراحل النمو العقلى والنفسى للطفل حتى ينتهى إلى أعلى درجاته، وهى العمل- أو الكف عن العمل- إبتغاء مرضاة الله.

ففى البداية تكون الحلوى أو اللعبة أو النقود أداة التشجيع، ثم يرتقى التشجيع درجة فيصبح: من أجل أن تحبك أمك أو أن يحبك أبوك.

ثم يرتقى درجة أخرى فيصبح: من أجل أن تكون ولداً طيباً (أو بنتاً طيبة) ويحبك أبوك وأمك ويقول الناس إنك طيب.

ثم يرتقى إلى درجته العليا فيصبح: من أجل أن تكون طيباً ويحبك الله ويرضى عنك وعلى هذه الصورة ينبغى أن يظل حتى يلقى الله.

أما العقوبة فلا نلجأ إليها ابتداءً، إنما نبدأ بالتشجيع، ولا نلجأ إليها أبداً إلا حين يفشل التشجيع أو يبدأ يدخل فى الدائرة الضارة، حين يصبح شرطاً مشروطاً لا يتم العمل أو الكف عن العمل إلا به.

والعقوبة درجات، تبدأ من الكف عن التشجيع (وهذه فى ذاتها عقوبة لمن كان يتلقى التشجيع من قبل)، إلى الإعراض المؤقت وإعلان عدم الرضا، إلى العبوس والتقطيب والزجر بصوت غاضب، إلى المخاصمة الطويلة والمقاطعة (أو التهديد بها)، إلى الحرمان من الأشياء المحببة إلى الطفل (أو التهديد به) إلى التهديد بالإيذاء، إلى الضرب الخفيف، إلى الضرب الموجع وتلك أقصى الدرجات، ولا ينبغى تخطى ذلك التدرج، والبدء بالنهاية، وهى الضرب سواء كان خفيفاً أو موجعاً حتى لا يتعود الجسم على الأذى فلا يعود يتأثر به كثيراً، وعندئذ نكون قد فقدنا كل وسائلنا الفعالة دفعة واحدة! لأن من يتبلد حسه على الضرب، وهو أقسى العقوبات، لا يزجره ولا يؤثر فيه وجه عابس ولا صوت غاضب ولا حرمان ولا تهديد بحرمان! وعندئذ ماذا نفعل؟!

وهذا خطر الإسراف فى العقوبة، والضرب بصفة خاصة.

إن العقوبة تظل شيئاً مرهوباً قبل أن تنفذ، ثم يكون لها وقعها الكامل فى أول مرة تنفذ، ولكنها إن تكررت فى المدى القريب تظل تفقد شيئاً من تأثيرها فى كل مرة، حتى يعتادها الحس وتصبح بغير تأثير، ومن ثم تصبح بغير فائدة.

ولذا فينبغى أن يستهدف المربى الإصلاح الحقيقى ويبحث عن الوسائل الفعالة الموصلة إليه، ويكف عن الوسيلة إذا وجد أنها لا تؤدى إلى الإصلاح المنشود، أو وجد أنها -بدلاً من أن تصلح- تزيد الفساد.

العقـاب بالضرب فى الإســلام

وعن حكم الإسـلام فى العقاب بالضرب يقول الشيخ عطية صقر فى كـتـابه (تربيـة الأولاد فى الإسـلام) ص٣٣٣: «والعـقـاب بالضـرب موجود منذ القدم فى تأديب الأولاد، فى البيوت والمدارس وقد رخص به الإسلام فى ضرب الزوجة الناشز إذا لم تفلح الموعظة والهجر، وكما تقدم فى حديث: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع»[١٣]، غير أنه ينبغى ألا يكون الضرب مبرحاً، وأن يستعمله عند من لا يقوّمه إلا ذلك»، وقد دخل ولد لعمـر بن الخطاب عليه وقد ترجل (سوى شعره) ولبس ثياباً حسنة، فضربه بالدرة حتى أبكاه، فقالت حفصة: لم ضربته؟ فقال أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه، وجاء فى فتوى نشرت بمجلة الأزهر أن النبى ﷺ قال لمرداس المعلم: «إياك أن تضـرب فوق الثلاث، فإنك إن تضـربه فوقها اقتص منك» واستنتجت الفتوى جواز الضرب بما جرت به العادة، وألا يكون على المقـاتل أو الوجـه أو الرأس، وألا ينشـأ عن ذلك ضـرر كتشويه لحم أو كسر عظم، فإن حصل منه شيء من ذلك ضمنه المعلم، إذ لا يزال الضرر بالضرر هذا وقد قال العلماء: ينبغى أن يكون العقاب جزاء على عمل غير أخلاقي، لا لدافع شخصى ينتهز المؤدب فرصة غلط الناشىء فيتشفى فيه بضربه أو عقابه. وابن حجر الهيثمى المتوفى ٩٧٤هـ يرد على أحـد مؤدبى الأطفـال بأنه لا يجـوز للمعـلم ضرب الصـغير إلا أن أذن له أبوه، ثم يشترط فى جـوازه للمعلم أن يظنـه زاجراً للتلميذ إذا اقتضت الضرورة، وألا يكون مبرحـاً، فإذا ظن المعـلم أن التلميـذ

---

(١٣) رواه أبو داود بإسناد حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

لا ينفعه إلا الضرب المبرح وهو الشديد الإيذاء فلا يجوز إجماعاً، ويعلل ذلك بأن العقوبة إنما جازت بالنسبة للصبى لظن أنها تفيد الإصلاح، فإذا كان الضرر سيأتى منها انتفت.

وقال ابن خلدون فى مقدمته ص٣٩٩: «ينبغى للمعلم فى متعلميه والوالد فى ولده ألا يشتدوا عليهم فى التأديب». وقد قال أبو محمد ابن أبى يزيد فى كتابه الذى ألفه فى حكم المعلمين والمتعلمين: «لا ينبغى لمؤدب الصبيان أن يزيد فى ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئاً»، ومن كلام عمر رضى الله عنه: من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله. حرصاً على صون النفوس عن مذلة التأديب، علماً بأن المقدار الذى عينه الشرع لذلك أملك له، فإنه أعلم بمصلحته.

وقد أرسل شريح القاضى مع ولده كتاباً إلى معلمه يشكو فيه لعبه بالكلاب جاء فيه:

ترك الصلاة لأكلب يسعى لها
طلب الهراش مع الغواة الرُجس
فإذا أتاك فعضه بملامة
وعظنه موعظ الرفيق الأكيس
وإذا هممت بضربه فبدرة
فإذا بلغت بها ثلاثاً فاحبس(١٤)

(١٤) المحاسن للبيهقى جـ٢ ص٢١٦، والعقد الفريد جـ١ ص١٩٦.

فإذا تقررت هذه المبادىء بوضوح، لم نلتفت إلى الصيحات الحديثة التى تريد أن تحرّم العقاب لكى لا تتعقد نفس الطفل ولا يصيبه الكبت! فتصيبه من الناحية الأخرى بالميوعة والتحلل فوضع قاعدة مسبقة بتحريم العقوبة الحسية أو تحريم العقوبة مطلقاً مفسد فى التربية كوضع قاعدة مسبقة بضرورة استخدامها فى كل حالة ولو لم تدع الضرورة إليها والمربى الحكيم يدرس حالة الطفل الذى بين يديه، ويقدر -من دراسته لظروفه الخاصة- إن كان ممن تصلح له المثوبة أو العقوبة أو المداولة بين هذه وتلك. وبذلك نضع الأمر فى نصابه ونعطى -على هدى المنهج الربانى- كل ذى حق حقه، آخذين فى اعتبارنا الفوارق الفردية بين طفل وطفل، والتى تقرر مقدار الجرعة اللازمة من المثوبة ومن العقوبة.



الفصــل الثـالث

تنشئة الطفل المسلم

أولاً : الإعداد البدنى

وسائل إعداد الفرد بدنياً

* الرعاية الصحية
* أكل الطيبــات
* الرياضة البدنية

ثانيــاً : الإعداد العقلى

* التعليم
* التأمل والتفكير

ثالثــاً : الإعداد الروحى

* العناية بالفضائل
* القدوة الطيبــة
* التدريب على العبادات
* الآداب الإسلامية

قسم الإسلام مراحل تربية الأولاد إلى ثلاثة مراحل:

١- من لحظة ميلاده إلى سن السابعة (الطفولة).

٢- من سن السابعة إلى سن الرابعة عشر (الصبوة).

٣- من سن الرابعة عشر إلى سن الإحدى والعشرين (الشباب).

وذلك فى الأثر الوارد عن الإمام على رضى الله عنه والذى يقول فيه: لاعبه سبعاً، وأدّبه سبعاً، وصاحبه سبعاً. (رواه أبو الشيخ ابن حبان عن أنس).

وقد تحدثنا عن المرحلة الأولى فى الفصلين السابقين وسنتحدث فى هذا الفصل عن المرحلة الثانية والتى تبدأ من سن السابعة إلى وقت البلوغ. وطريقة الإسلام فى معالجة هذه المرحلة وما بعدها هى المعالجة الشاملة لكل الدوافع والغرائز التى تسيطر على حواس الإنسان، وتنمية كل القوى المدركة فى باطن الإنسان ويشمل ذلك إعداد الطفل بدنياً وعقلياً وروحياً، حتى يكون عضواً نافعاً لنفسه ولأمته.

وقد أفرد الإمام الغزالى لهذه الحقوق، جزءاً خاصاً قدم له بواجب الآباء والمربين فى توجيه أبنائهم لتحسين أخلاقهم فقال: «اعلم أن الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبى: أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة، وشاركه

فى ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك، وكان الوزر فى رقبه عليه والوالى له، وقد قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾[1] ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء».

وأوجب أن تكون التربية من أول مراحل الصبى ونشأته وهى مرحلة الولادة والرضاعة بألا تستعمل فى حضانته وإرضاعه إلا امرأة متدينة تأكل الحلال: «فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبى انعجنت طينته من الخبيث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث»[2].

أولاً : الإعداد البدنى

ويقصد به تهيئة الطفل ليكون سليم الجسم، قوى البنية، قادراً على مواجهة الصعاب التى تعترضه، بعيداً عن الأمراض والعلل التى تشل حركته، وتعطل نشأته.

والإسلام وهو يحترم الطاقة الجسمية احتراماً كاملاً، لا يتركها على حالها، ولا يطلق لها العنان! إنه ينظمها ويضبط منصرفاتها، لأنها -هكذا بطبيعتها- إذا تركت وشأنها لا تقف عند حد، وتدمر الكيان.

---

(1) سورة التحريم: الآية ٦.

(2) إحياء علوم الدين للغزالى جـ٣ ص٧٠ وما بعدها.

فليس هم الحياة -كما فطرها الله- مجرد أداء المطالب البيولوجية، فحفظ الحياة على وجه الأرض ليس هو كل هدف الحياة! بل هدفها حفظها وترقيتها على الدوام.

ولذلك لا يترك الإسلام الإنسان لشهواته تستعبده وتجرفه إلى حيث لا يملك لنفسه القياد بل يضبطها ويهذبها وينطفها ولكنه لا يكبتها.

فمنهج الإسلام فى تربية النفس أنه لا يكبت رغائبها فيقتل حيويتها ويبدد طاقتها، ويشتت كيانها فلا تعمل ولا تنتج ولا تصلح لعمارة الأرض وترقية الحياة، وفى الوقت ذاته لا يطلق رغائبها بلا ضوابط، لأن ذلك يبدد طاقتها من جانب آخر، يبددها فى نشاط الحيوان وعلى مستوى الحيوان، ووسيلته إلى ذلك -كما قلنا- هى الضبط.

إنه يعمل على تربية القوة الضابطة وتنميتها منذ نعومة الأظفار وذلك بربط القلب البشرى بالله، وخشيته وتقواه، ومراقبته فى كل عمل وكل شعور وكل فكر، والتطلع إلى عطفه ورضاه وكذلك يربط القلب باليوم الآخر، ثم هو دائم التذكير بأن هذه الشهوات ليست غاية فى ذاتها، يستغرق الإنسان فى طلبها والانكباب عليها، وإنما هى وسائل إلى غايات أخرى أرفع منها وأولى بالالتفات، فالطعام وسيلة لحفظ الأود: **«ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه»**[٣]، والجنس وسيلة لانتشار النوع: **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾**[٤]، ووسيلة كذلك للسكن والراحة لا للسعار والفتنة

(٣) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم.

(٤) سورة النساء: الآية الأولى.

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة﴾[٥]، والمال وسيلة لإقامة الجماعة **﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما﴾**[٦]، وطاقة القتال لجهاد الشر فى الأرض **﴿يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾**[٧]، ولضمان الحياة ضد الاعتداء **﴿ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب﴾**[٨]، وهو يبعث النشاط الحيوى فى اتجاهات شتى، تشمل كل كيان الإنسان، فلا تتدفق الطاقة الحيوية كلها فى جانب واحد، جانب الجنس أو المال أو الطعام...الخ، بل يبعث النشاط فى العلم والعمل والتجارة والصناعة والزراعة، والفتح والغزو وعمارة الأرض، وإقامة الدولة، وتنظيمها، وسياستها، ومراقبة الأمور فى المجتمع، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهى كلها أمور تستغرق النشاط الإنسانى وتوزعه وتوسع مساحته، فلا يتكتل فى بقعة واحدة ويترك بقية الجوانب خواء.

وسائل إعداد الفرد بدنياً

والوسائل التى وضعها الإسلام لجعل الفرد صحيح البدن، بعيداً عن الأسقام والعلل، والتى يجب على المربى أن يأخذ بها فى التربية تتلخص فيما يلى:

---

(٥) سورة الروم: الآية ٢١.
(٦) سورة النساء: الآية ٥.
(٧) سورة التوبة: الآية ٧٣.
(٨) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

الرعاية الصحية :

فيحرص على نظافة البـدن والثـوب والمـكان، إذ أن النظافة ركن من أركان الصـــحة ودعامـة من دعائمهـــا، وأبلغ دليـــل على ذلك أن العبادات الإسلامية تقوم على الطهارة والنظافة وتجعل الطهارة شرطاً لصحة الدخول فى العبادة وتفسد عند عدمها، وقد مر بك أن الإسلام راعى هذه الناحية فى الجنين قبل أن يولد، ونبه إلى خطر إرضاع الطفل الغيل، وهو لبن الحامل، لتأثيره السيىء على صحته.

والعنـــاية بنظافة الطفـــل من أهـم ما يساعد على حفظ صـحته من الأمراض، وعلى تقوية جسمه وقد روى الشعراني فى كشف الغمة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: أمرنى رسول الله ﷺ مرة أن أغسل وجه أسامة بن زيد، وهو صغير، وما ولدت ولا أعرف كيف أغسل وجه الصبيان، فأخذته فغسلته غسلاً ليس بذاك، فأخذه رسول الله ﷺ فغسل وجهه وقال له: «**لو كنت جارية لحليتك وأعطيتك وكسوتك**». والنبى ﷺ نهى عن ترك الأطفال يسيرون فى الأماكن الموحشة والأوقات التى يظن فيه الخطر عليهم فقال فيما رواه مسلم عن جابر: «**إذا كـان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب سـاعـة من الليل فـخلوهم**» وأمر الإسلام بتحصين الأطفال بالأمصال المعروفة، لوقايتهم من الأمراض المعدية، نزولاً على عموم قوله تعـالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم**﴾[٩]، وقـوله: ﴿**ولا تلقـوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾[١٠]. وكما أمـر الإســلام بتحصين الأطفـال

(٩) سـورة النساء: الآية ٧١.

(١٠) سـورة البقرة: الآية ١٩٥.

أمر بعلاجهم من الأمراض التى تصيبهم بالطرق الصحيحة المعروفة لأهل الطب والخبرة، والتى يقرها الدين، وحذّر من التهاون فى العلاج، أو من عدم المبادرة إليه وذلك فى قوله ﷺ: **«يا عباد الله تداووا، فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله»** (رواه أحمد عن ابن مسعود). وحذر الإسلام كذلك من الإلتجاء إلى الطرق غير الصحيحة وغير المشروعة، التى تقوم غالباً على الخرافات والشعوذة، وذلك كتعليق التمائم والأحجبة غير المشروعة والودع وفى ذلك يقول ﷺ: **«من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا أودع الله له»**[11]، وفى رواية عائشة: **«من علق تميمة فقد أشرك»**، أما الالتجاء إلى الله عز وجل بالدعاء، أو التوسل إليه سبحانه بالقرآن وما أثر عن النبى ﷺ، وبالعمل الصالح، والجمع بينه وبين العلاج المادى فهذا أقرب للشفاء فقد ورد فى الصحيحين عن عائشة أمر النبى ﷺ أن نسترقى من العين وورد أن رجلاً استأذن النبى ﷺ فى أن يرقى فقال له: **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»** وورد فى الصحيحين حكاية سيد الحى الذى لدغ ورقاه المسلمون بفاتحة الكتاب، وأخذوا على ذلك أجراً، وأقرهم النبى ﷺ عليه وقد أورد ابن القيم فى زاد المعاد جـ٣ ص١١٨ أن جبريل رقى النبى ﷺ فقال: **«باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك»**.

ومن الرقى المشروعة: الإكثار من قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسى، وما أثر عن الرسول ﷺ مثل أعوذ بكلمات الله التامة من كل

(١١) رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد جيد عن عقبة بن عامر.

شيطان وهامة ومن كل عين لامة ومثل **«أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ فى الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن»**. وقد قال ابن حجر عن الرقية فى (فتح البارى): «أجمع العلماء على جواز الرقية عند اجتماع ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله أو بأسمائه أو بصفاته، وباللسان العربى، أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله عز وجل».

أكل الطيبات :

أمر الإسلام برعاية الأبناء، ورغب الآباء فى الإنفاق عليهم وجعل فضل الإنفاق كبيراً، وثوابه عظيماً، وذلك فى قول النبى ﷺ فيما يرويه مسلم عن أبى هريرة: **«دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك»**.

وقد حذر الإسلام من إهمال هذه الرعاية فى قوله ﷺ: **«إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»** (رواه ابن حبان فى صحيحه عن أنس) ويقول: **«كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»** رواه أبو داود وغيره عن عبد الله ابن عمرو بن العاص وصححه، ورواه مسلم بلفظ: **«كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته»** ويقول شوقى:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هذى الحياة وخلفاه ذليلاً
إن اليتيم هو الذى تلقى له
أماً تخلت أو أباً مشغولاً

وقد حرص الإسلام فى ذلك أن يعود الأب الطفل الأكل من الطيبات التى تغذى البدن وتقويه مع البعد عن المحرمات، وكذلك الإسراف اللذان يضران الجسم ويعرضانه لكثير من الأمراض وذلك فى قوله تعالى: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾**(١٢)، ويرشدنا الغزالى إلى ذلك بقوله فى إحياء علوم الدين جـ٣ ص٧٢: «وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغى أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول: «بسم الله» عند أخذه وأن يأكل مما يليه، وأن لا يسرع فى الأكل، وأن يجيد المضغ، وأن لا يوالى بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه». وقد فصلنا ذلك الموضوع فى كتابنا (مائدة المسلم بين الدين والعلم).

الرياضة البدنية :

وقد أولاها الإسلام عناية كبيرة، لأنه يريد للنشء أن يكون قوياً فى جسمه كما يكون قوياً فى عقله وخلقه وروحه، ففى الحديث الشريف الذى رواه مسلم عن أبى هريرة يقول النبى ﷺ: **«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»**، وقد ذكر ابن القيم فى (زاد المعاد) بعض فوائد الرياضة فقال: «إن الحركة هى عماد الرياضة،

(١٢) سورة الأعراف: الآية ٣٧.

وهى تخلص الجسم من الرواسب والفضلات بشكل طبيعى، وتعود البدن الخفة والنشاط، وتجعله قابلاً للغذاء، وتصلب المفاصل، وتقوى الأوتار والرباطات، وتؤمن جميع الأمراض المادية وأكثر الأمراض المزاجية إذا استعمل القدر المعتدل منها فى دقة، وكان يأتى التدبير صواباً».

ولا ننسى فى هذا المقام حاجة الولد إلى اللعب والترويح عن النفس، حتى لا يحدث عنده ملل ولا ضجر ولا تبرم وقد ورد فى الأثر: روّحوا عن النفوس ساعة بعد ساعة، فإن النفس إذا كلت ملت، وإذا ملت عميت، ولنستمع إلى الإمام الغزالى وهو يوصى المربين بذلك فى إحيائه فيقول: «ينبغى أن يؤذن للصبى بعد الانصراف من الكتّاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح فيه من تعب المكتب بحيث لا يتعب فى اللعب، فإن منع الصبى من اللعب وإرهاقه بالتعلم دائماً ضار بمستقبله ويبطل ذكاؤه، ويمغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص من الكتّاب رأساً».
وما أشار إليه الغزالى بالكتّاب هو ما يساوى المدرسة فى عصرنا.

ومما يدل على عناية الإسلام الشديدة بالرياضة ما جاء فى مسند الإمام أحمد أن النبى ﷺ كان يصف الأطفال الذين يأنسون به ويقول: **«من سبق فله كذا فيستبقون إليه فيقعون على صدره، فيلتزمهم ويقبلهم»** وما رواه البخارى أن النبى ﷺ مر على نفر من (أسلم) ينتضلون بالسوق -أى يتعلمون الرمى- فقال رسول الله ﷺ: **«ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بنى فلان»** فأمسك أحد الفريقين عن الرمى فقال رسول الله ﷺ: **«ما لكم لا ترمون؟»** فقالوا: كيف نرمى وأنت معهم؟ فقال ﷺ: **«ارموا وأنا معكم جميعاً»**.

وعنه ﷺ فيما رواه الطبراني: **«كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا عن أربع خصال: مشى الرجل بين الغرضين** -الجرى- **وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليمه السباحة»**، لذلك كتب عمر ابن الخطاب إلى الولاة: أما بعد، فعلموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل. وقد روى أحمد وأبو داود أن النبي ﷺ سابق عائشة فسبقته، ثم سابقها بعد ذلك فسبقها، فقال: **«هذه بتلك»** وروى الطبراني عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: **«من مشى بين الغرضين كان له بكل خطوة حسنة»** والغرضان علامتان يحد بهما مجال السباق، كذلك ورد أنه ﷺ سابق بين الخيل، وسابق بين الجمال، وقد صارع النبي ﷺ ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب وكان بمكة ويحسن الصراع، ويأتيه الناس من البلاد فيصرعهم- فصرعه ﷺ ثلاث مرات حتى وقف ركانة متعجباً وقال: إن شأنك لعجيب، وأسلم عقبها (رواه الحاكم في المستدرك وأبو داود والترمذي) وكذلك صارع النبي ﷺ أبا الأسود الجمحي، وكان رجلاً شديداً، بلغ من قوته أنه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه.

والتكاليف الإسلامية نفسها يشتمل كثير منها على رياضات للأعضاء، إلى جانب إفادتها قوة الروح واستقامة السلوك، فالصلاة بما فيها من طهارة وحركات لمعظم أعضاء الجسم، والحج ومناسكه، والزيارات والرحلات والجهاد والمشي إلى المساجد وأنواع النشاط الاجتماعي كلها تمرين لأعضاء الجسم وتقوية له مادامت في الحد المعقول.

على أننا يجب أن نوصل فى نفس الطفل أن الارتباط الرياضى لا يكون على حساب واجبات أخرى يكلف بها، فلكلّ وقته، والاعتدال والوسطية وإيجاد التوازن مع سائر الواجبات من الأمور المطالب بها، فعليه أن يتعلم التعادل على يد المربى استلهاماً من قوله ﷺ: **«إن لله عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فاعط كل ذى حق حقه»**، هذا مع الإشارة إلى أن الإسلام لا يرضى أن نمارس الرياضة بشكل يؤذى الناس كاللعب فى الشوارع الضيقة، وكذلك لا يرضى بالتحزب الممقوت لفريق أو لشخص، ويحرم المراهنات على النتائج، ولا يبيح اشتراك الذكور مع الإناث فى لعبة واحدة جماعية، ولا يرضى عن كشف العورات بصورة تثير الشهوات باسم الرياضة، ولا يسمح بإطلاق الكلمات النابية، والتعليقات اللاذعة أثناء المباريات أو بعدها وذلك للقاعدة الشرعية الإسلامية **«لا ضرر ولا ضرار»**.

❀ ❀ ❀

ثانياً : الإعداد العقلى

ويقصد به إعداد الطفل عقلياً وتهيئته كى يكون سليم التفكير، قادراً على النظر والتأمل، يستطيع أن يفهم البيئة التى تحيط به، ويحسن الحكم على الأشياء، ويمكنه أن ينتفع بتجاربه، وتجارب الآخرين.

فالإسلام دين الفطرة، فهو يحترم الطاقات البشرية كلها، لأنها هبة الله المنعم الوهاب: **﴿هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾**[13]، ولكنه يعطيها أقدارها الصحيحة،

(١٣) سورة الملك: الآية ٢٣.

ومن ثم فهو يحترم الطاقة العقلية، ويشجعها ويربيها لتتجه نحو الخير، ويمكن تلخيص هذا الإعداد باتخاذ الوسائل الآتية:

التعـليم :

وقد أرشد الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) جـ٣ ص٧٣ إلى تدعيم هـذه الناحية التربوية والعقلية بقوله: «ينبغي حفظ الصبيان عن رداءة الأخلاق من كذب وحسد ونميمة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب، ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الرسول ﷺ وحكايات الأبرار لينغرس في نفسه حب الصالحين».

وفي مقدمة ابن خلدون إشارة إلى أهمية تعليم القرآن الكريم للأطفال، وتحفيظه لهم وأوضح أن تعليم القرآن الكريم هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الإسلامية لأنه شعار من شعائر الدين، يؤدي إلى تثبيت العقيدة ورسوخ الإيمان، ويقول سعد ابن أبي وقاص: كنا نعلّم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم.

ولهذا يجب علينا أن نقف أمام المعلم الأول، والمربي الكريم سيدنا رسول الله ﷺ لنتعلم منه ما يجب على المربي أن يفعله مع الطفل، فقد روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله»** ويقول ابن عباس رضي الله عنه: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فذلك وقاية لهم ولكم من النار، وروى الطبراني عن الإمام علي كرّم الله وجهه أنه قال: أدّبوا أولادكم

على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن الكريم، فإن حملة القرآن الكريم فى ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه.

فلا يجب علينا أن نترك عقول أولادنا للمسلسلات التافهة، والأفلام الفارغة، والمسرحيات العابثة فتملأ عقولهم بالأفكار الفجة، والمعلومات الغثة لأن هذه مسئوليتنا، بل يجب أن نطبق منهج النبوة عليهم، فكما أنك مسئول عن توفير الطعام والكسوة والعلاج والتعليم لابنك، فأنت أيضاً مسئول مسئولية أكبر أن تحفظ له قلبه وتعمّر له عقله بالإيمان، فإذا كنت حريصاً على صحته الجسدية، فيجب أن يكون حرصك أكبر على صحته الإيمانية، وإذا كنت حريصاً على أن أوفر له جلباباً يحميه من الحر والبرد فى الدنيا، فلا بد أن أخيط له جلباباً يحميه من حر وزمهرير جهنم وذلك لا يكون إلا من كتاب الله عز وجل.

وفى ذلك يقول القائل:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى
تجرد عرياناً وإن كان كاسياً

ولكى يتم ذلك فعلينا تعليم أولادنا حب القرآن والإقبال على القرآن، وحفظ القرآن، وفهم القرآن، حتى يصيروا مغموسين بأنوار القرآن، وبأنوار حضرة الرحمن.

ثم نعلمهم حب رسول الله ﷺ، فأغلب أطفالنا الآن لا يعرفون غير لاعبى الكرة، والممثلين والممثلات، والمطربين والمطربات، وبالتالى لا يحبون غيرهم مع أن معظم هؤلاء سيكونون يوم القيامة فى الفئة

التى يقول الله عز وجل فيها: **﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾**[١٤].

لكنى أريد أن أربيهم فى صفوف القوم الذين يقول الله فيهم: **﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾**[١٥]، وهم أئمة أهل الجنة، وهؤلاء لابد أن ترتبط قلوبهم بقلب رسول الله ﷺ.

كيف أعلمهم حب رسول الله ﷺ؟ :

أحكى لهم سيرته، وأوضح لهم حياته، وأبين لهم مواقفه ومتاعبه فى الدعوة إلى الله، وما تحمّله فى سبيل نشر دين الله، وأعرض عليهم الفضائل التى خصه الله عز وجل، خاصة وأن محبته ﷺ سر الفوز بالنعيم المقيم يوم لقاء الله لقوله ﷺ: **«يحشر المرء مع من أحب يوم القيامة»** (متفق عليه عن أنس) وقوله ﷺ: **«ما اختلط حبى بقلب عبد مؤمن إلا حرّمه الله على النار»** (رواه الطبرانى عن أنس).

وقد كان لهذه التربية أثر بالغ فى نفوس أبناء أصحابه الكرام فقد روى أنه بعد بيعة الرضوان التى تمت فى صلح الحديبية فوجئت السيدة عائشة رضى الله عنها بمظاهرة كبيرة من الأطفال الصغار يدخلون عليها ويتقدمهم ابن أختها عبد الله بن الزبير فسألتهم عن سبب مجيئهم فأخبروها أنهم سمعوا عن مبايعة الرسول ﷺ لأصحابه فأرادوا أن ينالهم شرف ذلك، فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فأمر بإدخالهم وصافحهم وسرّ بهم ودعا لهم وعلينا بعد ذلك أن نحببهم فى الصالحين من عباد الله،

(١٤) سورة القصص: الآية ٤١.

(١٥) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

وهم الأتقياء والعلماء والعاملين، والحكماء، ويجعلهم يميلون إليهم ويتشبهون بهم ليتعلموا منهم الخشية والتواضع والوقار والأدب والحب والإخلاص والصدق، وفى ذلك يقول الإمام الشافعى رضى الله عنه:

أحب الصالحين ولست منهم
عسى أنى أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصى
وإن كنا سوياً فى البضاعة

وقد ردت عليه السيدة نفيسة رضى الله عنها قائلة:

تحب الصالحين وأنت منهم
لعلهم ينالوا بك الشفاعة
وتكره من تجارته المعاصى
حماك الله من تلك البضاعة

فإذا عمرت عقله وقلبه بكتاب الله وأحاديث رسول الله، وقصص الصالحين فإنه يشب على النقاء والصفاء، وقد طهر من الغل والغش والحقد، فيصير رجلاً نافعاً لنفسه ولأهله ولمجتمعه.

التأمل والتفكير :

وهما ضروريان لتنمية العقل واستقلاله بالفهم والإدراك، والقرآن الكريم حافل بالآيات التى تدعو الإنسان إلى التأمل وإيقاظ النفس، واستشعارها لعظمة الله وقدرته فى الكون لقوله تعالى: ﴿**إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر**

بما ينفع النـاس وما أنزل الله من السـماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾(١٦).

ويبدأ الإسلام التربية العقلية هنا بتحديد مجال النظر العقلى، فيصون الطاقة العقليـة أن تتبـدد وراء الغيبيـات التى لا سـبيل للعقـل البشرى أن يحكم فيها. وهو يعطى الإنسان نصيبه من هذه الغيبيات، بالقدر الذى يلبى ميله للمجهول، ولكنه يكل أمر ذلك إلى الروح، فهى القادرة على ذلك المزودة بوسائل الوصول، أما العقل فوسيلته إلى الله وإلى معرفة الحق، هى تدبر الظاهر للحس والمدرك بالعقل.

ثم بعد ذلك يأخذ فى تدريب الطاقة العقلية على طريقة الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة، فيتخذ إلى ذلك وسيلتين:

الوسيلة الأولى: وهى وضع المنهج الصحيح للنظر العقلى فينعى على المقلدين الذين يقـولون: **﴿إنا وجـدنا آباءنا على أمـة وإنا على آثارهم مقتدون﴾**(١٧)، وينعى على الذين يتبعون الظن: **﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾**(١٨)، ثم يأمر بالتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد به واقتفائه: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾**(١٩).

---

(١٦) سورة البقرة: الآية ١٦٤

(١٧) سورة الزخرف: الآية ٢٣.

(١٨) سورة النجم: الآية ٢٣.

(١٩) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

والوسيلة الثانية: هى تدبر نواميس الكون- تطبع العقل بطابع من الدقة والتنظيم فيوجه الإسلام الطاقة العقلية أول ما يوجهها إلى التأمل فى حكمة الله وتدبيره وهذا التأمل غايته إصلاح القلب البشرى، وإقامة الحياة على الأرض على أسس من الحق والعدل الأزليين الكامنين فى بنية الكون وبنية الحياة، وفى ذلك يقول كريس موريسون فى كتابه (العلم يدعو للإيمان): «إن وجود الخالق يدل عليه تنظيمات لا نهاية لها، تكون الحياة بدونها مستحيلة، وإن وجود الإنسان على ظهر الأرض، والمظاهر الفاخرة لذكائه، إنما هى جزء من برنامج ينفذه بارىء الكون».

ويوجه الإسلام الطاقة العقلية كذلك إلى النظر فى حكمة التشريع، ولذلك فقد عنى القرآن فى آيات التشريع بأن يوقظ العقل البشرى لتدبر هذه الآيات، وفهمها ووعيها، حتى يستطيع تطبيقها على خير وجه. ومنذ العصر الأول ظهرت حتى فى التشريعات التفصيلية الثابتة المحكمة حالات تستدعى إعمال الفكر، وفهم الحكمة، وفهم الترابط العام بين جميع التشريعات، ومن ذلك عدم تطبيق عمر لحد السرقة على الفتيان الذين سرقوا ناقة ابن حاطب بن أبى بلتعة، لأنه اعتبر الجوع الذى يقاسونه شبهة تدرأ عنهم الحد وقال: «والله لولا أننى أعلم أنكم تستعملونهم فتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لحل له، لقطعت أيديهم».

ومن جانب آخر فإن التشريعات المتعلقة بأمور متغيرة فى الحياة البشرية، وهى سياسة الحكم وسياسة المال قد اقتضت حكمة الله فيها أن يشمل التشريع الأسس والمبادىء دون التفصيلات والأشكال، لأن أية تفصيلات وأية أشكال ستكون موقوتة بفترة معينة، بينما الأسس والمبادىء

هى الإطار الذى ينبغى أن تسير الأمور فى حدوده، متجددة بتجدد كل عصر ودرجته من العلم، ودرجته من التفاعل من الكون المادى، وصورة المجتمع الذى يعيش فيه، ففى سياسة الحكم مثلاً ورد أساسان شاملان هما العدل والشورى: **﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾**(٢٠)، **﴿وأمرهم شورى بينهم﴾**(٢١)، ولكنه لم يبين أى طريقة تكون عليها الشورى أهى مجمع من رؤساء القبائل والعشائر؟ أم مجلس برلمانى منتخب أو معين، أو خلافة، لأن هذه صورة متغيرة بتغير صورة المجتمع وإمكانياته. وجاء فى سياسة المال: **﴿كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾**(٢٢)، فقرر كراهية حصر المال فى يد فئة قليلة يتداولونه بينهم وبقية الأمة محرومة منه، أما طريقة الاشتراك فى هذا الخير فقد تركها لكل جيل يصوغها فى الصورة التى تلائم ظروفه وعلمه وإمكانياته، بحيث لا يخرج على تلك القاعدة الكبرى.

لهذا وذاك طلب اليقظة من الإنسان لحكمة التشريع الإلهى، ووعيه وتدبره، ضماناً لسير الأمور فى الأرض على نهج من العدالة والحق المستمدين من العقيدة فى الله، ومن هنا يمتزج التشريع بالتوجيه، وتمتزج الأحكام بالتقوى التى تضىء الوجدان.

ويوجه الإسلام الطاقة العقلية كذلك لضمان سير الأمور فى المجتمع على منهج صحيح فكل فرد فى الأمة المسلمة مطالب بالرقابة على المجتمع، ومسئول عن كل ما يقع فيه، وإلا أصابه جزاء غفلته

---

(٢٠) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢١) سورة الشورى: الآية ٣٨.

(٢٢) سورة الحشر: الآية ٧.

ولو لم يكن هو ذاته من الظالمين **﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾**(٢٣)، وإنما تصيبكم جميعاً جزاء قعودكم عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

هذا التكافل فى المجتمع والرقابة على سير الأمور فيه، يقتضيان وعياً كافياً ويستلزمان عقولاً ناضجة، ولابد من توجيه الطاقة العقلية للعمل فى هذا الميدان، فهذا هو الضمان لحسن سير الأمور.

والقرآن يوجه المسلمين فى ذلك توجيهات شتى، فهو مرة يبصرهم بأعدائهم الذين يتربصون بهم ليحذروهم، ويكونوا على الدوام متيقظين لهم واعين لمؤامراتهم ودسائسهم. وتارة يوجههم لطريقة تلقى الأنباء والتصرف فى الأمور حين تشيع الشائعات حول أمر من الأمور. وتارة يوجههم إلى حسن الحكم على الأشياء والأشخاص، وعدم التسرع فى إصدار حكم على أمر لم تتبين كل خطوطه، وتارة يوجههم لطاعة أولى الأمر فى حدود طاعة هؤلاء لله والرسول ﷺ وهكذا مع ملاحظة أن كل توجيه تنظيمى يصحبه ويلزمه التوجيه إلى الله والدعوة إلى تقواه.

ويوجه القرآن الطاقة العقلية إلى النظر فى سنة الله فى الأرض وأحوال الأمم والشعوب على مدار التاريخ **﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم؟ ولدار الآخرة خير للذين اتقوا. أفلا تعقلون؟﴾**(٢٤).

---

(٢٣) سورة الأنفال: الآية ٢٥.

(٢٤) سورة يوسف: الآية ١٠٩.

ثم يوجه الإسلام العقل البشرى إلى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان **﴿ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش﴾**(٢٥).

فيوجهه إلى استخلاص الطاقة المادية، وقد وجه روحه من قبل إلى الارتباط بالله وخشيته وتقواه. ومن ثم يعمل العقل البشرى فى استخلاص هذه الطاقة غير مفتون بها، ولا شاعر بأنها خلاصة الحياة وجوهرها الأوحد. فينتفع بثمارها وهو مالك لأمره منها. غير مستعبد لها ولا منجرف فى طريقها. وتلك نقطة حاسمة فيما بين الإسلام وغيره من النظم والعقائد والأفكار.

ولذلك فإن المسلمين لم يفتنهم التقدم المادى فينقطعوا عن الله ومنهجه وعبادته والسير على هداه، ولم يفتنهم فينقطعوا عن عالم الروح ولم يفتنهم فيستغلوا علمهم فى سبيل الشر ولم يفتنهم فيحولهم إلى المادية الكريهة التى تسيطر اليوم على الغرب ولم يفتنهم فينبذوا أخلاقهم جانباً بحجة أنهم تقدميون.

بل سار العلم فى ظلال العقيدة يكشف ويصل كل يوم إلى جديد، وهو ماض فى طريق الخير، لأنه سائر فى طريق الله، ولذلك يحرص الإسلام أشد الحرص على ربط القلب دائماً بالله، وتوجيه العقل -وهو يعمل فى استنباط الطاقة المادية فى الأرض- إلى حكمة الله من الخلق، وآياته فى رحاب الكون.

---

(٢٥) سورة الأعراف: الآية ١٠.

والعلاقة بين العقل والروح قائمة أبداً لا تنفصم فى منهج الإسلام. ومن ثم لا يضل العقل -وهو يتعلم- ولا ينحرف عن طريق الخير. ولا يستخدم معلوماته فى سبيل الشر.

والعلاقة بين الروح والمادة قائمة: فلا يستعبد الإنسان المادة، ولا يقع فريسة للآلة تستعبده وتسيطر عليه، لأنه حافظ لكيانه المتكامل، مستمد قوته من الله، من ثم يظل هو المسيطر وهو العنصر الإيجابى الفعال.

تلك طريقة الإسلام فى تربية العقل: ﴿**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة**﴾(٢٦).

❀ ❀ ❀

ثالثاً: الإعداد الروحى

ويقصد بالإعداد الروحى أن يكون الطفل جياش العواطف، ينبسط للخير ويفرح به ويحرص عليه، وينقبض عن الشر ويضيق به ويفر منه، ويوجه الإسلام عناية خاصة لتربية الروح لأنها فى نظره مركز الكيان البشرى ونقطة ارتكازه والمهيمن الأكبر على حياة الإنسان، لأنها صلة الإنسان بالله: ﴿**فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين**﴾(٢٧)، فالروح تلك الطاقة المجهولة التى لا نعرف كنهها ولا طريقة عملها، هى وسيلتنا للاتصال بالله، وهى الطاقة التى يتصل بها الإنسان بالمجهول، بالغيب المحجوب عن الحواس، فالاستشفاف عملية

(٢٦) سورة البقرة: الآية ١٣٨.

(٢٧) سورة الحجر: الآية ٢٩.

من عمليات الروح، والحلم التنبؤى عملية من عمليات الروح، والتخاطر عن بعد (التلباثى) كحادثة عمر الشهيرة مع سارية، حين ناداه على بعد ألوف الأميال: يا سارية الجبل! فسمعه سارية ونجا من الكمين وانتصر، هذا التخاطر عملية من عمليات الروح. وهى كلها عمليات جليلة عظيمة باهرة معجزة. يقف الإنسان حائراً أمامها، مبهوراً من العجب والإعجاب.

ومهمة العقيدة هى مساندة الفطرة وتوجيهها وجهتها. مهمتها أن تساعد الفطرة فى الاهتداء إلى الله، الاهتداء الذى هو كامن فى كيانها ولو حجبتها عنه الأمراض. مهمتها أن تطلق الروح من إسارها لكى ترى الله.

فيعتقد الطفل أن الله الذى خلقه معه ويراه وهو مطّلع على سره وعلانيته وأنه سوف يحاسبه فى يوم لا شفيع فيه ولا نصير. وأن جوارحه سوف تشهد عليه. وأن الله قد فرض عليه فرائض فلا يضيعها كالصلاة والصيام والزكاة، وإكرام الوالدين، والإحسان إلى الجيران، وصلة الرحم... وغيرها.

فطريقة الإسلام فى تربية الروح هى أن يعقد صلة دائمة بينها وبين الله، فى كل لحظة وكل عمل وكل فكرة وكل شعور ويستخدم لذلك وسائل شتى.

فهو من ناحية يثير حساسية القلب بيد الله المبدعة فى صفحة الكون، لتحس دائماً بوجود الله، وقدرته المطلقة التى ليست لها حدود.

ومن ناحية يثير حساسية القلب برقابة الله الدائمة عليه. فهو مع الإنسان أينما كان، وهو مطلع على فؤاده، عالم بكل أسراره، وبما هو أخفى من الأسرار.

ومن ناحية يثير فى القلب وجدان التقوى والخشية الدائمة لله، ومراقبته فى كل عمل وكل فكرة وكل شعور، ومن ناحية يثير فيه الحب لله، والتطلع الدائم إلى رضاه.

ومن ناحية يبعث فيه الطمأنينة إلى الله فى السراء والضراء، وتقبل قدره بالتسليم والرضاء والهدف فى النهاية واحد: هو وصل القلب البشرى بالله.

وحين يحس بمراقبة الله الدائمة له فى كل تصرف، وكل فكرة، وكل شعور، وكل هاجسة فى النفس مستورة، وكل خائنة فى العين خافية، يهتز ويرتعش، ويخر خاشعاً، ويراقب الله فى الصغيرة والكبيرة، وفى الجهر وفى الخفاء.

يراقبه وهو يعمل، يراقبه وهو يفكر، يراقبه وهو يحس، فلا يعمل شيئاً بغير إخلاص، ولا يعمل شيئاً بقصد الشر، ولا يعمل شيئاً دون تمعن وتفكر، ولا يعمل مستهتراً ولا مستهيناً بالعواقب، ولا يعمل شيئاً لغير الله.

ويمكن أن نلخص وسائل الإعداد الروحى فيما يلى:

العناية بالفضائل :

وذلك بإبراز قيمة الفضائل وآثارها الفردية والاجتماعية وأبرزها: العدل، والصدق، وبر الوالدين، والشجاعة، والصبر، والرحمة، والعفو،

والإنفاق، والأمانة، والعفة، والتواضع، والحلم والصمت، وكفالة اليتيم، وبر الجار، والإجارة، والوفاء للصديق، والوفاء بالعهد وغيرها.

وإظهار مساوىء الرذائل كالكبر والظلم والحسد والكذب والنفاق والنميمة والغيبة والبخل والبغى والغرور، والسخط وحب الدنيا واللعن وصحبة الأشرار وشهادة الزور والغدر وخلف الوعد والجدال والمراء والرياء والعجب والغش والتجسس والهمز واللمز والشماتة، والزنا واللواط وعقوق الوالدين واتباع الهوى وقطيعة الأرحام والربا وغيرها.

وبيان آثارها أمام الطفل بقدر ما يتسع له فهمه، وذلك بمراقبته وتعويده على الحياء والاحتشام وأن يحبب إليه الإيثار ويحفظه عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة، وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه، ويمنع من لغو الكلام وفحشه، من اللعن والسب، ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك فإن ذلك يسرى لا محالة من قرناء السوء.

ولذلك فإن من الضرورى أن يحبب الآباء أبناءهم فى اختيار الأصدقاء الأخيار، ومزاولة أصحاب الخلق الفاضل، لأن الأطفال يحاكى بعضهم بعضاً ويتشبه كل بالآخر.

والصورة المثلى للتربية الحسنة هى ما يرويه القرآن الكريم فى حديث لقمان وهو يعظ ابنه إذ يقول: **﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير. يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر**

واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور. ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[28]. ففى هذه الآيات نرى تدرج الدعوة وأخذها بالأهم فالمهم فى خطوات أو مراحل متتابعة ومتكاملة لا انفصال بينها وهى:

أولاً ـ جانب العقيدة :

متمثلاً فى قوله: **﴿يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم. يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾** وبعد تثبيت العقيدة واستقرارها فى الضمير بعد الإيمان بالله وحده لا شريك له، واليقين بالآخرة لا ريب فيه، والثقة بعدالة الجزاء لا يفلت منه مثقال حبة من خردل بعد ذلك تأتى المرحلة الثانية.

ثانياً ـ تطبيق العقيدة :

متمثلاً فى التوجه إلى الله بالصلاة وإلى الناس بالدعوة إلى الله والصبر على تكاليف الدعوة ومتابعتها التى لابد أن تكون **﴿يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾**.

ثالثاً ـ الجانب الأخلاقى والتربوى :

ثم ينتقل إلى أدب الداعية إلى الله، فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالى على الناس والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير، ومن باب أولى

---

(28) سورة لقمان: الآيات 16 : 19.

يكون التعالى والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل **﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾**.

ويوضح الإمام الغزالى كيفية العناية بهذا الجانب فى كتابه (إحياء علوم الدين) جـ٣ ص٧٣ فيقول: «مهما ظهر من الصبى خلق جميل، وفعل محمود فينبغى أن يكرم عليه ويجازى عليه، بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس. فإن خالف ذلك فى بعض الأحوال مرة واحدة فينبغى أن يتغافل عنه، ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أن يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولاسيما إذا ستره الصبى واجتهد فى إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالى بالمكاشفة. فعند ذلك إن عاد ثانياً فينبغى أن يعاتب سراً ويعظم الأمر فيه. ولا تكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظاً هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً، والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح».

القدوة الطيبة :

أن يكون الآباء أنفسهم مثلاً صالحاً لأبنائهم، فإن الأطفال من عاداتهم أن يتشبهوا بآبائهم ويحاكونهم فى أقوالهم وأفعالهم، والقدوة الصالحة ما هى إلا عرض مجسم للفضائل. وإن الطفل الذى يرى والديه يهتمان بأداء الشعائر والبعد عما يخل بتعاليم الدين مثل الكذب والغدر والنميمة والأثرة، والبخل وغير ذلك من الصفات الذميمة، لابد وأن يتأثر

تأثراً بالغاً بما يراه ويشاهده من والديه وفى ذلك يقول الغزالى فى إحيائه: «فأول الأمور التى ينبغى أن تراعى فإن الصبى بجوهره خلق قابل للخير والشر جميعاً، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين قال ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»**.

ولكى تكتمل القدوة الطيبة لدى الطفل فإننا نحتاج إلى أن يكون الشارع والمدرسة والمجتمع على الصورة التى نرغب فى تنشئة ذلك الطفل عليها، فإن تربية طفل واحد على الإسلام، كتربية ألف طفل، كتربية جميع الأطفال، تحتاج إلى البيت المسلم والشارع المسلم والمدرسة المسلمة، والمجتمع المسلم. فما دمت لا تستطيع -ولا ينبغى لك- أن تحبس طفلك عن النزول إلى الشارع للعب أو السير والانتقال فيه؛ ولا عن الذهاب إلى المدرسة ليتعلم؛ ولا عن الاختلاط بالمجتمع ومفاهيمه وعاداته وتقاليده وأنماط سلوكه، ولا عن التأثيرات الناشئة من ذلك كله. فلن تستطيع إذن أن تنشىء هذا الطفل كما تريد أنت، مهما كنت فى بيتك على أعلى درجات المثالية فى سلوكك الشخصى أو فى منهجك التربوى، فإن كنا نريد إذن أن نربى أطفالنا تربية إسلامية وذلك هو المقتضى الطبيعى لكوننا مسلمين فلابد أن يكون لدينا البيت المسلم والشارع المسلم والمدرسة المسلمة والمجتمع المسلم.

ومن بديهيات المجتمع المسلم أن يكون البيت والشارع والمدرسة والمجتمع كلها سائرة فى طريق واحد هو طريق الإسلام والتربية الإسلامية؛ وألا يوجد الصراع بينها، مادامت كلها تنهج نهجاً واحداً، وتستمد من معين واحد؛ وأن تتآزر جميعاً على تكوين الشخصية الإيمانية

المسلمة، وتوحيد أنماط سلوك المجتمع وعاداته، وجعلها طابعاً مميزاً للمجتمع الإسلامى كله، ينعكس فى السلوك الفردى لكل مسلم، كالآداب العامة، وطريقة التعامل فى البيع والشراء، وآداب الزيارة، وآداب الحديث، وآداب الزواج، وآداب الأسرة، وغيرها، وإن كان هذا التوحيد العام لأنماط السلوك وعاداته لا يلغى الفوارق الذاتية بين البشر المسلمين ولا يجعلهم نسخاً مكررة، وإنما يسمح بوجود درجات من الاختلاف؛ لأن لكل مسلم طابعه الخاص.

ومع عناية الإسلام بأن يكون البيت والشارع والمدرسة والمجتمع كلها سائرة فى طريق واحد ومؤدية إلى غاية واحدة، فقد كان تركيز الإسلام الأكبر على الأسرة والبيت لأن البيت هو المحضن الذى ينشأ فيه الطفل حتى يكبر، ويلتقط منه الانطباع الأول الذى قد يؤثر فيه مدى الحياة.

وتتضح لنا عناية الإسلام بالبيت والأسرة من مراجعة تشريعات الإسلام وتنظيماته وتوجيهاته جميعاً، فأما التشريعات والتنظيمات فقد كفلت قيام الأسرة على رباط شرعى معلن قائم باسم الله، وفى ذلك حفظ الأنساب واطمئنان الأب إلى أبنائه، واطمئنان الأبناء إلى أبويهم، وذلك عنصر مهم من عناصر الاستقرار فى نفس الطفل.

كما كفلت التشريعات والتنظيمات قيام الزوج بكفالة الزوجة وإراحة أعصابها من جهد الكدح من أجل لقمة الخبز، وذلك لكى تتفرغ لمهمتها العظمى فى تنشئة الأجيال.

ولئن كان الداء الذى أصاب العالم المادى هو تشغيل المرأة، وشغلها بقضية المساواة مع الرجل، وحملها على أن تستنكف التفرغ للأمومة،

وبناء الأجيال القادمة من البشرية وتعده حطاً من قيمتها وتضييعاً لمواهبها، وتصعيب الحياة الاقتصادية وتعقيدها -بخبث- بحيث لا يكفى فيها إيراد الرجل وحده لإقامة بيت وأسرة، لكى تكره المرأة على العمل أو لكى تجد المبرر الظاهرى لهجر البيت والخروج للعمل، فإن المرأة العاملة المتزوجة ذات الأولاد لهى التى تصرخ مستجيرة من ذلك الجهد المهلك المضنى، خاصة بعد أن تكثر مطالب الأسرة وتتعدد.

ولقد كان الإسلام أرأف بها وأرحم، وأعلم باحتياجاتها واحتياجات الطفولة واحتياجات البشرية كلها وهو يضع هذه التشريعات وهذه التنظيمات.

وأما توجيهات الإسلام فهى تدعو إلى توفير أكبر قدر من الاستقرار لهذا البيت الذى ينشأ فيه الطفل، لتكون تنشئة الأطفال فى أفضل وضع لهم، وفى أنسب الظروف ملائمة لنموهم السوى على الفطرة السليمة.

فهو أولاً يستثير وجدان المودة والرحمة بين الزوجين، ليكون هذا هو الرباط الأقوى الذى يربط قلب الأب وقلب الأم، فيربط معهما كيان البيت كله: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ززواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة. إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**(٢٩)، ثم هو يوصي كلاً منهما بإحسان المعاملة من جانبه والحرص على هذا الرباط من أن تنفصم عراه: **﴿وعاشروهن بالمعروف﴾**(٣٠)، ويدعو إلى علاج كل بادرة من بوادر الخلاف قبل أن تصل إلى القطيعة:

---

(٢٩) سورة الروم: الآية ٢١.

(٣٠) سورة النساء: الآية ١٩.

﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن، واهجروهن في المضاجع واضربوهن، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، إن الله كان علياً كبيراً. وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾(٣١)، والملحوظ فى هذه التوجيهات كلها، كما هو الملحوظ فى التشريعات والتنظيمات، أن تكون الأمور فى الوضع الأمثل بالنسبة للرجل والمرأة كليهما. ولكن من الواضح كذلك أنها تهدف إلى ما وراء الرجل والمرأة فى ذاتهما. فهى تهدف -بتوفير الاستقرار النفسى والعصبى والاجتماعى والاقتصادى للرجل والمرأة- إلى تهيئة الجو الصالح للأمومة والأبوة، لتنشئة الأجيال المقبلة فى أنسب وضع لهذه التنشئة وأفضل وضع. فلا شىء ييسر التربية السليمة ويجعلها أقرب إلى إيتاء الثمرة المرجوة من الجو المستقر حول الطفل، والحب المرفرف حوله من خلال الأبوين، ولا شىء يفسد التربية ويجعلها أبعد عن إيتاء ثمرتها من جو القلق العصبى والنفسى والفكرى والروحى، والجو المشحون بالبغضاء والشقاق والتوتر.

ومن هنا كان حرص الإسلام الشديد على تربية الناس على نهج الإسلام، لكى يكون الآباء هم القدوة المباشرة لأبنائهم فى الفترة التى ينحصر عالم الطفل فيهم، فتتكون فى نفوس الأطفال -بالالتقاط والمحاكاة- تلك القيم الإسلامية بغير جهد يذكر، وتنشأ فى نفوسهم منذ الصغر فتكون عميقة الجذور، ثم يزيدها التعليم رسوخاً، ويزيدها المجتمع الإسلامى قوة.

(٣١) سورة النساء: الآيتان ٣٤، ٣٥.

فحين توجد القدوة الحسنة متمثلة فى الأب المسلم والأم ذات الدين فإن كثيراً من الجهد الذى يبذل فى تنشئة الطفل على الإسلام يكون جهداً ميسراً وقريب الثمرة فى ذات الوقت، لأن الطفل سيتشرب القيم الإسلامية من الجو المحيط به تشرباً تلقائياً، وستكون تصرفات الأم والأب أمامه في مختلف المواقف، مع بعضهما البعض ومع الآخرين، نماذج يحتذيها ويتصرف على منوالها. ولذا فعلى الأب والأم أن يترفعا أمام أولادهما عن دنايا الأمور، وسفاسف العادات، وقبائح الأخلاق، وأن ينزها ألسنتهما من السباب والشتائم والكلمات النابية والقبيحة، وعن كل ما ينبى عن فساد الأخلاق، لأن مسئوليتهما فى هذا المجال مسئولية شاملة ومن الأمور المسلم بها لدى علماء التربية أن الطفل يولد على الفطرة النقية والطهارة والبراءة، فإذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية، والبيئة التعليمية المؤمنة نشأ الولد على أخلاق فاضلة، وتربى تربية صالحة.

والصبى أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإذا عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد به فى الدنيا والآخرة، وإن نشأ فى بيت مهمل، وخالط جماعة فاسدة فإنه سيرضع لبان الفساد ويتربى على أسوأ الأخلاق، وسرعان ما يتحول من السعادة إلى الشقاء.

التدريب على العبادات :

وفى هذه المرحلة يجب أن يُلقن الطفل مبادىء الدين، ونمرنه على العبادات، ونعوده على ممارسة فعل الخير، لأن ذلك يجعل منه نواة صالحة لمجتمع سليم راق، وفى ذلك يقول الإمام الغزالى فى إحيائه جـ٣ ص٧٣ : «ومهما بلغ سن التمييز، فينبغى أن لا يسامح فى ترك الطهارة

والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان، ويجنب لبس الديباج والحرير والذهب، ويعلم كل ما يحتاج إليه فى حدود الشرع». وقد قال رسول الله ﷺ موضحاً الواجب على الأب فى هذه الفترة فيما رواه أبو داود: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع»** وروى ابن حبان عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى، ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ ست سنين أدب، وإذا بلغ تسع سنين عزل عن فراشه، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة والصوم، فإذا بلغ ست عشر سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال: قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة»**.

فقد جاء التوجيه من الرسول الكريم ﷺ أن نروض أولادنا على القيام بالعبادات لتتأصل فى نفوسهم ويتعودوا عليها منذ نشأتهم الأولى، حتى يتربى الطفل على طاعة الله سبحانه وتعالى، والقيام بحقه، والثقه به، والاعتماد عليه، ويجد فيها أيضاً طهراً لروحه، وصفاء لنفسه، وصحة لبدنه، وتهذيباً لأخلاقه فقد قال ﷺ فيما رواه ابن ماجه: **«اكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»** وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال: **«ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن»**.

إن الطفل عندما ينشأ منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله والاعتماد عليه والمراقبة له فإنه يصبح وعنده الملكة الفطرية، والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، ويتأتى ذلك بإبراز مشاعر الطهر والنقاء فى نفسه وإشعاره بمراقبة الله عليه.

ولذلك فيبدأ الأبوان فى هذه المرحلة بتعليم الطفل الطهارة والوضوء والصلاة، ويصحبه الأب معه إلى المسجد للصلاة معه على أن يبين له آداب عمارة المسجد والجلوس فيه، ويوضح له كيفية الصلاة فى جماعة ويجتهد فى إقناعه بأهمية الصلاة وفضائلها ويكشف له عن بعض أسرارها حتى تكون عبادته عن حب وشوق لا عن خوف ورهبة، فذلك يجعله يصلى سواء كنت حاضراً أو غائباً لأنه يصلى لله عز وجل وليس خوفاً منى أو رغبة فى إرضائى بل رغبة فى إرضاء الله عز وجل.

وكذلك الصيام فيبدأ الوالدان بتدريب الطفل على صيام بعض اليوم، ثم نصفه، ثم صيام بعض أيام من الشهر الكريم وتحكى السيدة عائشة رضى الله عنها عن ذلك فتقول: كنا نصوم ونحن صغار، وكانوا يصنعون لنا اللعبة من العهن (الصوف) يلهوننا بها عن الجوع.

الآداب الإسلامية :

وفى تلك المرحلة الهامة يجب تعويدهم على الآداب الإسلامية الهامة وخاصة فى النوم فنجعل الأولاد فى غرفة والبنات فى غرفة، ونجعل لكل ولد أو بنت سرير خاص به، فإذا اضطررنا لأن ينام ولدان على سرير واحد، أو بنتان فى فراش واحد، فيجب أن نجعل لكل ولد أو بنت غطاءً خاصاً به ولا نشركهما فى غطاء واحد، لأن احتكاك الأعضاء ببعضها قد يحرك الشهوة، أو يثير الغرائز، وهذا من الحيطة البالغة التى يحرص الإسلام عليها.

وكذلك يجب تعليمهم أدب الاستئذان كما وضحه القرآن لأنه من قواعد الأدب العالى والخلق الرفيع فالرجل عندما يدخل إلى غرفة

نومه ومعه زوجته عليه أن يعلّم أولاده أن لا يدخلوا عليه إلا إذا استأذنوا حتى لا تقع أنظارهم عليه فى صورة لا يحب منهم أن يطّلعوا عليها وذلك ما وجه إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾**[٣٢]، ونركز فى هذه الفترة على تعليمهم أدب الطعام، وأدب الكلام، وأدب المشى، وأدب الجلوس، وأدب الزيارة، وأدب السلام وغيرها من الآداب الإسلامية التى تجعل الطفل ينشأ على القيم الإسلامية ويعتز بها، ويفتخر بالتمسك بها.

وعلينا أن نحذر هذا التقليد الذى سرى فى بلادنا سريان النار فى الهشيم، وهو الدفع بأولادنا إلى مدارس أجنبية ومعاهد تبشيرية، مع ترك قيادة الأولاد فى تعليمهم لمربين ملحدين، يغرسون فى أنفسهم بذور الحقد والإلحاد ويزودونهم بكتب الخلاعة والمجون وما كتبه المستشرقون ضد ديننا الحنيف، ويصبون فى آذانهم كلمات الاستهجان بالدين والاستخفاف به. فعلينا نحن أن نتنبه لهذا ونستشعر المسئولية، فإن المسئولية ضخمة والخطر جسيم، ويتطلب اليقظة التامة والحيطة الكاملة نحو اختيار المدرسة، ومتابعة الأولاد ولنضرب مثلاً للذين تربوا على الإيمان بسيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين رضى الله عنهما

---

(٣٢) سورة النور: الآية ٥٨.

فقد غرست فيهما التربية الإسلامية الحكمة فى معالجة الأمور التى تعن لهما، ولذلك ورد أنهما رأوا رجلاً لا يحسن الوضوء، فلم ينبهاه بطريقة مباشرة حتى لا يجرحا مشاعره، بل اصطنعا شجاراً وخلافاً بينهما على أيهما أحسن وضوءاً، ثم اقتربا منه وطلبا منه أن يتوضئا أمامه ويحكم بينهما، فلما رآهما الرجل تنبه إلى خطئه وشكر لهما حسن صنيعهما.

وأيضاً هذه الحكمة هى التى دفعت الحسين وهو الأصغر عندما حدث خلاف بينه وبين الحسن وهو الأكبر أن يرسل إليه رسالة يقول فيها: قال رسول الله ﷺ: **«لا ينبغى لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث وخيرهما الذى يبدأ بالسلام»** فإذا وصلك خطابى هذا فأت إلىّ لأنى لا أرضى أن تكون الخيرية لى وأنت أخى الأكبر. فجاء إليه وتصافيا لأنهما تربيا على منهج الإسلام القويم.

الفصل الرابع

رعاية شباب الإسلام

أولاً : التربية الجنسية

* أسباب عناية الإسلام بالتربية الجنسية
* تربية الأطفال جنسياً
* علاج الإسلام للزنى

ثانياً : التربية الإيمانية

* مسئولية الآباء فى متابعة الأبناء
* القيم الإسلامية
* مكارم الأخلاق
* بناء المراقبة الإيمانية
* جهاد النفس
* نور القرآن
* ميادين جهاد المؤمنين

عنى الإسلام عناية كبيرة جداً بالشباب لأنهم عماد الأمة، ومطمح آمالها، وعليهم جلّ اعتمادها فى أى نهضة تقوم بها، وقد كان لجيل الشباب المسلم فى بدء الدعوة الإسلامية أمثال على بن أبى طالب، وعمّار بن ياسر، ومصعب بن عمير، وزيد بن حارثة، وأسامة بن زيد وغيرهم الفضل الأول فى نشر الدعوة الإسلامية، وتثبيت أركانها.

وتعتبر فترة الشباب أهم فترة فى حياة الإنسان لأنها تبدأ من لحظة البلوغ، أو من سن الرابعة عشر تقريباً، وفى هذه الفترة تكون قد اكتملت للإنسان ذكراً كان أو أنثى أعضاؤه الجسمانية، وتنشط جميع غرائزه محاولة إبراز ملامح شخصيته، ويقترب العقل من النضوج فيسعى للإلمام بكل ما حوله. ومن هنا فإن الشاب يخضع لدوافع داخلية كثيرة وخطيرة غير المؤثرات الخارجية تؤثر فى سلوكه وعاداته، وتحاول أن تلقى بظلها على شخصيته وتصرفاته والإسلام بطبيعته الشمولية لم يهمل هذه المؤثرات، ولم يطالب بتنحيتها جانباً، لكنه وضع أمثل الطرق لاستخدامها والاستفادة بها فى حياة المرء حتى يكون المرء متوازناً بين مطالب الجسد ومطالب الروح، عاملاً لسعادة نفسه وبنى جنسه فى الدنيا، ونجاة نفسه فى الآخرة وذلك ما نجده واضحاً فى بناء الإسلام للشباب فى هذه الفترة.

فهو يهتم بكل ما له علاقة بالجنس، بدءاً من المراهقة فالبلوغ وعلاماته، إلى الخطبة فالزواج وما يتعلق بذلك من أحكام شرعية وآداب خلقية.

ويحرص على توضيح صفات النفاق والمنافقين مع شدة التحذير منها ليتجنبها الشباب فى سلوكهم فيخلوا المجتمع من مرض النفاق فيصلح ويسعد.

وهو حريص على تكوين جهاز الرقابة الإيمانية فى نفوس الشباب ضماناً لاستقامتهم، ورغبة فى سعادتهم.

ثم هو يضع اللمسات الإيمانية فى كافة فروع العلوم الطبيعية والإنسانية ليمتزج الدين بالعلم، فيكون العلم محصناً بالفضيلة، محفوظاً من الاتجاه به نحو الفساد أو الرذيلة وسنحاول إبراز بعض هذه الجوانب ليتضح لنا عظمة الإسلام فى تربية شبابه، وسموّه فى توجيه عواطفهم ورغباتهم؛ والأخذ بأيديهم إلى منازل الكمال، والحرص على بلوغهم شأو الرجال.

أولاً : التربية الجنسية

اهتم الإسلام بالجنس اهتماماً منقطع النظير، ويظهر ذلك فى إشباع الفقهاء القول فى كل ما له علاقة بالأعضاء التناسلية، فقد تكلموا بإسهاب عن ختان الذكور وأنه من الفطرة، وخفاض النساء وأنه مكرمة، وتكلموا عن الخطبة والزواج، وأعطوا لهما حقهما من البحث والتنقيب، وإصدار الفتاوىَ الشرعية، وذكروا العيوب التى تردّ بها الزوجة، ومنها عيوب الفرج التى لا يمكن معها المعاشرة، ولم يهملوا الكلام عن قضايا العذارة والبكارة والثيوبة، وقد فرّقوا بين العذراء والبكر، وأعطوا لكل منهما حكماً مستقلاً لاسيما عندما يصل الأمر إلى القضاء.

وتكلموا عن الحمل والولادة والرضاع، وحكم جماع المرضعة، وزواج المتعة والزنى والشذوذ الجنسى واللواط والسحاق وغير ذلك.

ويمارس الأزهر بين طلبته من البنين والبنات كلّ فى معهده بداية من سن الأولى الإعدادية تدريس هذه الثقافة فى الإطار الإسلامى الذى يهدف إلى إيصال الحقيقة العلمية، أو النظرية بواقعها إلى ذهن الطالب فى وضوح؛ محاطة بسلوك خُلقى رفيع، يجعل الطالب يمارسها عن قناعة. وهذه لمحة سريعة لبعض ما يدرسه الطالب الأزهرى والطالبة فى معهديهما، فيثقفان ثقافة جنسية فى إطار الأحكام الشرعية تنير لهما سبل المعرفة مع دين صحيح سليم نقلناها من مقال للدكتور على أحمد الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر بعنوان (الأزهر والثقافة الجنسية) عدد ربيع الأول ١٤١٦هـ أغسطس ١٩٩٥م حيث يقول: «ونقدم هنا جانباً مختصراً للغاية عن بعض هذه الدراسة».

أولا: لكى يتعرف الطالب والطالبة بدقة على الوضوء، ينبغى أن يعلما: أولاً نواقض الوضوء عند الرجل والمرأة على سواء، وبالتالى يتعرفان على كل ما يخرج من السبيلين لديهما مما ينقض الوضوء، فيعرفان ألوان الماء الخارج من الرجل، ومكان خروجه صراحة، ويتعرفان على خصيصة هذا الماء من: بول، ومَذى، ووَدْى، ومنى، ووقت خروج كلٍ من هذه الثلاثة الأخيرة، وسبب خروجه، ثم كيفية الطهارة منه، ومتى يكون خروج أى من الأربعة ناقضاً للوضوء، أو موجباً للغسل، ومتى لا يوجب وضوءاً ولا غسلاً؟.

وتقتضى دراسة خروج المنى معرفة أسبابه، وما كان منها حلالاً، أو حراماً، أو مكروهاً، وأحوال كلّ، وما يقتضيه خروج المنى شرعاً من وجوب الغسل! ويتعرفان كل من الطالب والطالبة على ألوان الخارج من قِبل المرأة صراحة ماء أو دماء، وأسبابها، ومتى تمنع هذه الدماء مباشرة الرجل لزوجته، ومتى لا تمنع مع وجودها، ويعتبر الطالب الأزهرى، ومثله الطالبة، على علم دقيق بالتفريق بين دم الحيض والنفاس، ودم الاستحاضة، ودرجات هذه الدماء كثافة ورقة، وماء المرأة الذى يعقب الحيض تماماً، وهذا الأخير لا تعلمه أكثر النساء، ثم هما: الطالب والطالبة -أيضاً- على علم فى هذا المقام- بحال من ابتدأت الحيض، ومن اعتادته، وما ينبغى لكل منهما- حيال هذا الخارج منها.

ثانياً: وإذا درسا الغسل كان عليهما أن يدرسا موجباته الخمس، وفى مقدمتها المباشرة الزوجية، وكيف تتم، فيدرس كل منهما أمرها، وواجب المرأة حيالها، وواجب الرجل أيضاً، وآداب هذه المواصلة حتى لا يقع الرجل على زوجته كما تقع البهيمة على أنثاها....الخ» انتهى. وإذا انتقلنا إلى الحديث النبوى الشريف فإننا نجد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، والصحابيات الماجدات رضوان الله عليهن لم يترددوا أن يسألوا عن دينهم سواء تعلق الأمر بالجنس أو بغيره، يستعملون الوساطة فى السؤال أحياناً لظروف خاصة، ويسألون طوراً آخر الرسول ﷺ مباشرة ومواجهة استفادة وإفادة.

وهذه نماذج من الأسئلة الجنسية التى طرحت على رسول الله ﷺ ليعطى فيها الحكم والأدب اللائق بها، وقداستمع إليها وأجاب عنها بوضوح تام بدون لوم ولا تثريب.

الحيض :

روى الإمام البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن امرأة سألت النبى ﷺ عن غسلها من المحيض فقال لها: «**خذى فرصة من مسك فتطهرى بها، قالت: كيف أتطهر؟ قال: تطهرى بها. قالت كيف؟ قال: سبحان الله تطهرى، فاجتذبتها إلىّ فقلت: تبتغى بها أثر الدم**».

الغســل :

روى الإمام مالك أن الصحابى الجليل أبا موسى الأشعرى، رضى الله عنه أتى السيدة عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ فقال لها: «لقد شق علىّ اختلاف أصحاب النبى ﷺ فى أمر إنى لأعظم أن أستقبلك به. فقالت: ما هو؟ ما كنت سائلاً عنه أمك فسلنى عنه.

فقال الرجل يصيب أهله ثم يكسل ولا ينزل، فقالت: إذا جاوز الختان فقد وجب الغسل، فقال أبو موسى الأشعرى: لا أسأل عن هذا أحداً بعدك أبداً».

الاحتـلام :

عن عروة بن الزبير رضى الله عنهما أن أم سليم قالت لرسول الله ﷺ: المرأة ترى فى المنام ما يراه الرجل، أتغتسل؟

فقال لها رسول الله ﷺ: نعم فلتغتسل.

فقالت لها عائشة: أفّ لك، وهل ترى ذلك المرأة؟

فقال لها رسول الله ﷺ: تربت يمينك، ومن أين يكون الشبه؟».

وفى رواية السيدة أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أنها قالت:

«جاءت أم سليم امرأة أبى طلحة الأنصارى إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحى من الحق. هل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت؟ فقال: نعم إذا رأت الماء».

الزواج وقضية العسيلة :

روى الإمام البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها: «أن رفاعة القرظى تزوج امرأة ثم طلقها، فتزوجت آخر، فأتت النبى ﷺ فذكرت له أنه لا يأتيها وأنه ليس معه إلا مثل هدبة. فقال: لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك».

مباشرة الحائض :

عن أبى ميسرة عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت:

«كان النبى ﷺ يباشرنى وأنا حائض، ويدخل معى فى لحاف وأنا حائض، ولكن كان أملككم لإربه».

والمقصود من قولها: «يباشرنى» القبلة والمعانقة ومسّ ثديها، وليست تعنى بكلمة «المباشرة» الجماع، بدليل حديث السيدة عائشة رضى الله عنها أيضاً كما هو فى مسند الإمام أحمد:

«كان إذا كان كذلك -أى الحيض- من إحدانا ائتزرت بالإزار الواسع، ثم التزمت رسول الله ﷺ بيديها ونحرها».

وفى رواية للإمام النسائى: «كان يأمرنا إذا حاضت إحدانا أن تأتزر بإزار واسع، ثم يلتزم صدرها وثدييها».

* هذا وإذا انتقلنا إلى القرآن الكريم فإنا نجده يذكر الحيض أربع مرات، ويذكر النكاح ثلاثاً وعشرين مرة، ويصرح بلفظة الزواج إسماً أو فعلاً إحدى وثمانين مرة.

ويذكر العملية الجنسية بعبارات مختلفة تؤدى كلها نفس المعنى الذى هو الجماع، منها:

١ - المباشرة، فى قولة تعالى: **﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم، وعفا عنكم، فالآن باشروهن، وابتغوا ما كتب الله لكم﴾**(١).

٢ - الإتيان، فى قوله تعالى: **﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾**(٢).

٣ - الإفضاء، فى قوله تعالى: **﴿وكيف تأخذونه، وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾**(٣).

٤ - الملامسة، فى قوله تعالى: **﴿أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا﴾**(٤).

٥ - التغشى، فى قوله تعالى: **﴿فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به﴾**(٥).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٣.

(٣) سورة النساء: الآية ٢١.

(٤) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٨٩.

٦ - الحرث، فى قوله تعالى: ﴿**نساؤكم حرث لكم، فأتوا حرثكم أنى شئتم**﴾[٦].

٧ - المسّ، فى قوله تعالى: ﴿**وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن**﴾[٧].

٨ - الرّفث، فى قوله تعالى: ﴿**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم**﴾[٨].

٩ - النكاح، فى قوله تعالى: ﴿**فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره**﴾[٩].

١٠- الاستمتاع، فى قوله تعالى: ﴿**فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة**﴾[١٠].

أسباب عناية الإسلام بالتربية الجنسية

لقد كان اهتمام الإسلام بالتربية الجنيسة، لأن العاطفة الجنسية مظهر إنسانى يؤثر فى سلوك الإنسان؛ فكان لابد من أن يتناوله التهذيب مع عدم البعد عن الحقيقة، ولذلك فالسلبية المطلقة والرد على تساؤلات النشء عن هذه العاطفة بقولنا: «عيب لا يصح» طريقة غير سليمة

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٢٣.
(٧) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.
(٨) سورة البقرة: الآية ١٨٧.
(٩) سورة البقرة: الآية ٢٣٠.
(١٠) سورة النساء: الآية ٢٤.

فى إفهامهم هذه النواحى الجنسية الطبيعية وفى ذلك يقول الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر فى كتابه: (العاطفة الجنسية فى ضوء الدين والعلم) ص٤٠ : «ونحن نترك أبناءنا يتيهون فيما لا يشعرون به فى دور البلوغ من اختلاف جسمى وعقلى ونفسى، ونتركهم للطبيعة، وانحرافهم راجع إلى إهمالهم وعدم اللباقة فى وقوفهم على حقائق واضحة، فحين يجد الناشىء نفسه قد أفرز فى حلمه وهو لم يألف ذلك يخشى أن يصارح أباه فى أمره، وكذلك البنت، ويتلقى كلاهما من المحيط الخارجى فى صورة مشوهة ما يدور حول الناحية الجنسية وبذلك يكون الانحراف!!.

إن واجب كل أم أن تعرّف ابنتها حقيقة العاطفة الجنسية من أنها شىء طبيعى يراد به حفظ النوع، ولها فى الحيوان الأليف فى البيت ما يذلل لها الصعوبة» انتهى.

ويقول أيضاً فى ص٢٣ من نفس الكتاب: «وتربية الغريزة فى دور البلوغ تحتاج إلى حسن القيادة وجمال التصرف، فإن محاصرة البالغين والبالغات، والأخذ بالعنف فى تقبيح نداء الغريزة يولّد شعوراً خفياً بأن المباشرة الجنسية شيئاً غريباً مستكرهاً بعيداً عن الإنسانية، وقد يضل كثير من الأبناء والبنات لعدم التوجيه السديد، وفى أوائل البلوغ تميل الأنثى إلى النوم كثيراً، ويغرق الذكر فى أحلامه، ويغيب عمّا حوله، ويريد التنفيس عما يلاقى من مظهر غريب عنه لم يألفه، وبخاصة حين يفرز فى نومه المادة المنوية، ويخيل إليه أنه فريد فى ظاهرته، فالواجب على الأم أن تعرّف ابنتها كل ما يتصل بالحياة الجنسية فى صراحة

مع التحفظ وعدم التنزل والابتذال كما يفعل الكاتبون الذين يكشفون ليثيروا لا ليفيدوا».

هذا إلى أن الجهل بالتربية الجنسية يؤدى إلى ارتكاب مخالفات شرعية يقع فيها المرء وهو يظن أنه على صواب مثل:

* قد يمس الرجل ذكره بباطن كفه، أو المرأة باطن فرجها فيبطل الوضوء من كل منهما وهما لا يشعران.

* كم من فتاة اغتسلت بعد الطهر من الحيض بدون رفع موانع الحيض، وبدون احترام لشرائط الغسل وفرائضه، إنما أفرغت الماء على نفسها مصحوباً بعقاقير وعطر وشبهه، لأنها كانت تعتقد أن النية والشروط والفرائض تخص المتزوجات.

* وكم من ملامسات سطحية وقعت بعد مراكنة الخطيبين لبعضهما وقبل العقد الشرعى، وهما يحسبان أن الخطبة (بكسر الخاء) عقد. وقد أدت تلك الملامسات إلى حمل غير شرعى، والطب يثبت الحمل بمثل هذه الملامسات.

ولهذا يقول الدكتور عبد الرحمن طالب الجزائرى فى كتابه (التربية الجنسية فى الإسلام) ص٢١٣: «لقد دلت الدراسات عن المراهقين من الفتيان دلالة واضحة على أن فترة المراهقة هى فترة رغبات جنسية قوية. وقد ثبت أن ما يزيد على ٩٥٪ من المراهقين الذكور فى المجتمع الأمريكى يكونون فعالين جنسياً حين بلوغهم الخامسة عشر من العمر. وفى هذا دليل على الحاجة الكبرى للتربية الجنسية. ذلك بأن المراهق بحاجة لمساعدته فيما يخص مشكلاته الجنسية، وفى إمكان المدرسة والبيت أن يساعدا المراهق كثيراً فى هذا الخصوص» انتهى.

ويراعى فيها أن تواكب مراحل نموهم وتتلخص فيما يلى:

أولاً ـ ستر العـورة :

فالمطلوب من الآباء أن يربوا أولادهم منذ الصغر على تغطية عوراتهم حتى ينشأوا على الحياء والحشمة، وعورة الصغار اختلف فيها رجال المذاهب.

فالشافعية شـدّدوا وجعـلوا عـورة الصـغير ولو غـير مميز كالرجـل، ما بين السرة والركبة.

والمالكية خفّفوا فجعلوا ابن ثمانى سنوات لا عورة له، فجوّزوا النظر إلى جميع بدنه، وتغسيله ميتاً، وكذا بنت ثلاث سـنوات وثمانية أشـهر لا عورة لها، ولكن بنت ثلاث سنوات لها عورة بالنسبة للمس، فليس للرجل أن يغسلها، أما بنت ست سنوات فهى كالمرأة.

أما الحنابلة والأحناف فإنهم توسطوا فى قضية عورة الأطفال بالنسبة للنظر والصلاة.

ثانيـاً ـ التفرقة بينهم فى المضاجع :

فـالشـرع يطلب أن يفـرق الأبوان بين أبنائهم وبناتهم فى النـوم إذا ما بلغوا عشر سنين، وذلك فيما رواه الإمامان الحاكم وأبو داود بسنديهما عن النبى ﷺ أنه قـال: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليهـا وهم أبنـاء عشر، وفرقـوا بينهم فى المضـاجع»**

قال السيد عبد الله علوان معلقاً على هذا الحديث: «فيؤخذ من هذا النص أن الآباء والأمهات مأمورون شرعاً بأن يفرقوا بين أبنائهم في المضجع إذا بلغوا سن العاشرة مخافة إن اختلطوا في فراش، وهم في سن المراهقة أو ما يقاربها أن يروا من عورات بعضهم البعض في حال النوم أو في اليقظة ما يثيرهم جنسياً أو يفسدهم خلقياً» انتهى.

وفي صحيح البخاري: **«أن النبي ﷺ أردف الفضل بن العباس رضي الله عنهما يوم النحر خلفه، وكان الفضل قد ناهز البلوغ، فطفق الفضل ينظر إلى امرأة وضيئة من خثعم، كانت تسأل النبي ﷺ عن أمور دينها، فأخذ النبي ﷺ بذقن الفضل، فحول وجهه عن النظر إليها»** وفي رواية الإمام الترمذي **«أن العباس قال للرسول ﷺ: لويت عنق ابن عمك؟ فقال ﷺ: رأيت شاباً وشابة فلم آمن عليهما الفتنة»** وهذا الحديث وشبهه كثير في السنة، ويؤخذ منه اهتمام الرسول ﷺ بالمراهقين والشباب من حيث الأخلاق حتى يربوا وينشئوا تنشئة حسنة إسلامية.

ثالثاً ـ تعليم الأولاد أحكام المراهقة :

يدعو الإسلام المربين إلى مصارحة من هم تحت تربيتهم ووصايتهم بكل ما له علاقة بالأحكام الشرعية المتصلة بالجنس، كعلاقات البلوغ التي هي:

حيض وحمل وخروج منيّ وإنبات شعر العانة، وهي المشار إليها في المرشد المعين بقوله:

وكل تكليف بشـــرط العــــقل
مع البلوغ بدم أو حـــــمل
أو بمنىّ، أو بإنبــات الشـــعــر
أو بثـمــان عــشـرة حــولاً ظهــر

رابعاً ـ تجنب الأولاد الإثارات الجنسية :

والإثارة الجنسية فى هذا العصر كثيرة جداً منها:

١ – أفلام الخلاعة التى تعرض فى السينما أو على شاشة التليفزيون، وخاصة تلك الأفلام التى تتكلم عن الجنس لا لغرض تربوى شرعى، وإنما للإثارة.

٢ – الصور العارية المرسومة على الأوراق البريدية وطوابعها، وفى أندية السياحة ودور بيع الصحف والتحف.

٣ – الجرائد والمجلات التى تعرض الجمال الجسمى والألبسة الداخلية، والتى تظهر من خلالها المفاتن الجسدية.

٤ – الكتيبات التى ترسم الأعضاء التناسلية، والأفعال المخلة بالحياء، والتى توجد ببعض الأكشاك، والتى تعرض أحيناً جهراً، وطوراً فى الظلام وفى الخفاء.

٥ – قصص الخلاعة التى تصور العشق والمجون، وتدعو للإثارة والرذيلة.

٦- الاختلاط مع الأشرار المائعين المنحرفين، وقد قال في ذلك الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

٧- الاحتكاك بالنساء لاسيما في المواصلات العامة، أو الحضور معهن في الحفلات المختلطة، والله تعالى قد أباح للطفل أن يحضر مع النساء فيما إذا لم يكن يفرق بين المرأة الجميلة والدميمة لقول الله تعالى: **﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾**[١١].

يقول ابن كثير في تفسيره هذه الآية: «يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية، وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء، أما إذا كان مراهقاً أو قريباً من المراهقين بحيث يعرف ذلك ويدريه، ويفرق بين الشوهاء والحسناء فلا يمكنّ من الدخول على النساء»، وقد ثبت في الصحيحين عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: **«إياكم والدخول على النساء، قيل: يا رسول الله، أفرأيت الحمو** (أي قريب الزوج) **قال: الحمو الموت»**.

وهؤلاء الأطفال -وإن سمح لهم الشرع بالدخول على أهليهم، والدخول عليهم بدون استئذان- فإنه حذّرهم وألزمهم الاستئذان حتى على الآباء في أوقات ثلاثة. فقال جل شأنه: **﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث**

(١١) سورة النور: الآية ٣١.

مرات: من قبل صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء. ثلاث عورات لكم، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن، طوافون عليكم﴾(١٢).

ففي هذه الأوقات الثلاثة لابد أن يستأذن الخدم والأطفال على آبائهم وأهليهم حتى لا تقع أعينهم على عورات مكشوفة.

والأوقات التي يجب الاستئذان فيها هي:

حين يكون الناس عادة في لباس النوم، ووقت القيلولة حين يتخفف المرتاحون من الثياب الثقيلة الضيقة، ومابعد العشاء حين يتهيأ الرجال والنساء للنوم والاستراحة والاستئذان قبل الدخول هنا يتناول الذكور والإناث معاً، ويجب الاستئذان أيضاً على إناث الأطفال في العورات الثلاث، أما البالغات منهن ففي غير هذه الأوقات أيضاً وهذا أمر بديهي.

علاج الإسلام للزنى

الزنا عادة سيئة قديمة تحدث بين الرجال والنساء، فتؤدي إلى اختلاط الأنساب، وهتك الأعراض، وإذهاب العفة والفضيلة، وحديثنا عن الزنا يشمل اللواط والسحاق أيضاً لأنهما من هذا الباب، بل إن التحريض على الفحشاء بجميع أنواعها من الزنا، لأن الدال على الشيء كفاعله، والله تعالى لما حرم الزنا حرم كذلك مقدماته فقال: **﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾**(١٣).

---

(١٢) سورة النور: الآية ٥٨.

(١٣) سورة الإسراء: الآية ٣٢.

وأما اللواط وهو إتيان الذكر للذكر فقد ذكره الله تعالى فى قصة لوط عليه السلام فقال: **﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء، بل أنتم قوم مسرفون﴾**(١٤).

وأما السحاق أو المساحقة التى تسمى بلغة العصر «الملامسة السطحية» وتحدث بين النساء فهى محرّمة باتفاق العلماء لقوله ﷺ: **«ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد»** وعلاج الإسلام لهذه الأمراض الخطيرة يقوم أساساً على سدّ الأبواب المفتّحة التى تؤدى إليها، وغلق الدواعى التى تتسبب فيها، وتخصيص دروس تربوية واعية فى هذا الميدان، للتوعية وتكوين المروءة، وتهذيب الأخلاق، ثم التعجيل بتزويج الأيامى بعد انتهاء سن المراهقة، والدخول فى سن الشباب، مع الرجوع إلى إقامة الحدود الشرعية لأنها الصالحة للردع فى كل زمان ومكان وأسباب هذه الأمراض كما وضحتها الشريعة الإسلامية هى كما يلى:

١ – الاختلاء بالمرأة الأجنبية: أى مجالستها فى مكان مغلق بدون وجود محرم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك نهياً قاطعاً فى عدة أحاديث منها قوله ﷺ: **«لا يخلوّن أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم»**.

٢ – النظر إلى محاسن المرأة: وقد منع الإسلام عن النظر إلى محاسن المرأة ومفاتنها وزينتها فى عدة آيات قرآنية منها قوله تعالى: **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم، ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم، إن الله خبير**

(١٤) سورة الأعراف: الآيتان ٨٠، ٨١.

بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾(١٥).

وقد أشار إليها الرسول ﷺ في قوله: **«ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة، ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه»**.

والنظر محرم على الرجال والنساء على حد سواء، وعمى أحد الجنسين لا يسمح للطرف الآخر برفع بصره للنظر فيه وفي حديث أم سلمة رضى الله عنها ما يدل على ذلك حيث قالت: «كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال النبى ﷺ: احتجبا منه، فقلنا يا رسول الله، أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال النبى ﷺ: أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟».

٣- الاستماع إلى صوت المرأة المرخم: لأن صوت المرأة فى حد ذاته ليس بعورة، بدليل أنها يجوز لها التعليم والتعلم، والبيع والشراء، وأداء الشهادة، والإعلان عن الجرح والتعديل، وقد باشرت الصحابيات رضوان الله عليهن مثل هذه الأعمال فى العصر النبوى وعصر الخلفاء الراشدين، وإنما الممنوع الصوت المرخّم الذى يحدث شهوة وطمعاً عند الرجال وفى القرآن الكريم تربية واضحة للنساء عند مخاطبتهن الرجال حيث قال جل شأنه: **﴿فلا تخضعن بالقول، فيطمع الذى فى قلبه مرض، وقلن قولاً معروفاً﴾**(١٦).

---

(١٥) سورة النور: الآيتان ٣٠، ٣١.

(١٦) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

فالخضوع بالقول: ترقيقه وترخيمه، والقول المعروف: الكلام الحسن العفيف الذى لا لين فيه ولا تكسير. وقد بين القرآن تربية أخرى للنساء اللائى يحدثن صوتاً بسبب احتكاك حليهن: الخلاخل، أو القلائد والأساور وشبهها قرب الرجل، لأن السماع كالنظر، فالكل يحدث إثارة جنسية، قال تعالى: **﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾**(١٧). قال ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية: كانت المرأة تمر بالناس فتضرب برجلها لتسمع صوت خلخالها، فنهى الله عن ذلك لأنه من عمل الشيطان.

٤- شم أنفاس المرأة واستنشاق عطرها الذى تعطرت به: فأما شم أنفاسها فيحدث عند الاقتراب منها، والاحتكاك بها، وهذه الأنفاس مثيرة للجنس ولو لم تكن مشوبة بعطر، ولا يمكن التحرز من هذه الأنفاس إلا بالابتعاد، ولذا أورد ابن الحاج فى المدخل حديث: **«باعدوا أنفاس النساء وأنفاس الرجال»** وأما استنشاق عطر الأجنبية فقد ورد فيه قوله ﷺ: **«أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية، وكل عين زانية»**.

٥- لمس أعضائها: بالمباشرة الجسدية أو التقبيل أو المصافحة وقد ورد فى ذلك قوله ﷺ: **«لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»**.

٦- نقص التربية: ويتمثل ذلك فى أمرين:

(أ) قلة المروءة من طرف الزناة: لأن المزنى بها هى ابنة أخ مسلم أو زوجته، أو أخته، أو أمه، أو إحدى عماته أو خالاته.

(١٧) سورة النور: الآية ٣١.

ولا يرضى الزانى مهمـا كان متسـيباً أن تهتـك حرماته بالـزنى، ولا يقبل أن يمسّ فى شرفه، وشرف حرمه وأسرته، فلو استعمل الزانى عقله ملياً لما ارتكب فاحشة الزنا، وفى الحديث عن أبى أمامة أن فتى شاباً أتى النبى ﷺ فقال: **«يا رسول الله، إئذن لى فى الزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال ﷺ: ادنه فدنا منه قريباً، فقال: أتحبه لأمك،؟ قال: لا وجعلنى الله فداك قال: وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، قال أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك. قال: ولا النـاس يحبونه لبناتهم، قال أفتحبه لأختـك؟ قال: لا والله جعلنى الله فداءك قال: ولا الناس يحبـونه لأخـواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلنى الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلنى الله فداءك قال: ولا الناس يحبـونه لخالاتهم قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبـه، وحصن فرجه، فلم يكن بعـد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء»**.

(ب) عدم الوعى بما يحدثه الزنى من أخطار: منها:

أولاً: الخطر الصحى: فمرض السيلان ينتقـل عن طريق الزنى، وهو يسبب التهـاباً حاداً ومزمنـاً فى الرحـم والخصيتين، وقـد يؤدى إلى العقم، وإلى التهـابات فى المفاصل، وقـد يؤثر على المولود فيصاب بالعمى.

وكذلك أمراض التقرحات الجنسية؛ والتى تنتقل بالالتقاء الجنسى المحرم، وتسبب التهـابات فى العقـد البلغمية، وقد تؤدى إلى خراجات

قيحية مزمنة، والتهابات فى المجارى البولية. وقد يصاب بعض الأولاد بمرض النضج الجنسى المبكر نتيجة لتهيج الشهوة قبل أوانها، واستثارة الغريزة قبل اكتمالها. وأخطر ما يسببه الزنى مرض «الإيدز» والذى يؤدى إلى فقدان مناعة الجسم المكتسبة.

ثانياً: الخطر النفسى والخلقى: قد يصاب هذا الشهوانى المندفع نحو البهيمية بمرض اللواط والسحاق، وهو مرض خطير من نتيجته اكتفاء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وقد يصاب بمرض الهوس الجنسى، حيث ترى المريض الشهوانى المندفع مشغولاً فى جميع أوقاته بتخيلات شهوانية غريزية من نكاح، وتقبيل، وضم وعناق وشبه ذلك، وتراه منصرفاً عن كل شيء، فيكثر نسيانه، ويقل اهتمامه، وتشتد غفلته، ويضعف انتباهه، وتراه كأنه مخمور، أو كأنه محزون.

وتسبب هذه الظاهرة الأليمة نحولاً فى الجسم، وضعفاً فى الذاكرة، وقلقاً فى النفس، وهناك أخطار اجتماعية، وهى عدم تكوين الأسر، وظلم المواليد الذين يولدون من غير زواج شرعى.

ثالثاً: الخطر الدينى: وأما الخطر الدينى فالفرد الذى لا يستعف عن محارم الله، ولا يصون نفسه عن مزالق الشهوة والفتنة، يصاب بأربع خصال ذميمة، ذكرها النبى ﷺ فيما رواه الإمام الطبرانى فى الأوسط حيث يقول ﷺ: **«إياكم والزنى، فإن فيه أربع خصال: يذهب البهاء من الوجه، ويقطع الرزق، ويسخط الرحمن، ويسبب دخول النار»** ومن خطورته أيضاً أن الزانى حين يزنى ينسلخ من ربقة الإيمان فقد روى الإمامان البخارى ومسلم عن النبى ﷺ أنه قال: **«لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن»**.

٧- عدم التبكير بالزواج: فالتبكير بالزواج؛ مما يساعد المرء على التقوى، والابتعاد عن الزنى، وقد قال ﷺ: **«يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**. والشباب الذين نادى عليهم الرسول ﷺ هم من بلغوا الحلم ولم يتجاوزوا ثلاثين سنة، والباءة الجماع، والوجاء كخصاء لفظاً ومعنى، أى قامع للشهوة.

وإذن فكل من بلغ وكانت له القدرة على الإنفاق والجماع، فهو مطالب بالزواج، والزواج يساعد على غض البصر عما لا يحل، ويحفظ فرجه من الزنى.

والزواج شرع الله، فمن تركه متعمداً فقد ترك سنة محمودة وفى الحديث الذى يرويه أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: **«من كان موسراً لأن ينكح فلم ينكح فليس منى»** وإذا عجز المرء عن الزواج لأسباب قاهرة فعليه بالصوم، فإنه يخفف من حرارة الشهوة، ويقلل من الغلمة لقوله ﷺ: **«فمن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»** وليلازم جانب العفة حتى يتيسر له أمر الزواج، وفى القرآن الكريم: **﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾**(١٨). أى فليجتهد المسلم فى العفة وقمع الشهوة ما دامت لم تيسر له سبل الزواج، فإن العبد إذا اتقى الله جعل له من أمره فرجاً ومخرجاً.

٨- فقدان الرادع: أما ردع الزناة بالجلد والتغريب، أو الرجم، فهو آخر الأسلحة لعلاج هذه القضية الفتاكة، فمن لم يستطع غلق

(١٨) سورة النور: الآية ٣٣.

الأبواب المفتحة على الزنى المشار إليها سابقاً، ولم يقدر على دفع الفحشاء، ولم يمتثل للسنة النبوية التى أمرت بالزواج، ولم يقم بالصوم كعلاج نبوى وقائى قامع للشهوة، ثم ارتكب الزنى، فالشرع أمر بجلده وتغريبه إن كان عزباً، أورجمه بالحجارة حتى يموت إن كان محصناً، والمحصن كل من سبق له زواج شرعى، سواء بقى فى زواجه أو طلق وأمسى ثيباً قال تعالى: **﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾**(١٩).

أما المحصن الذى سبق له زواج شرعى فيرجم بالحجارة حتى يموت وقد ورد حديث الرجم فى الصحاح عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: «خطب عمر فقال: إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا، وإنى خشيت إن طال زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم فى كتاب الله تعالى، فيضلون بترك فريضة أنزلها الله تعالى، فالرجم حق على من زنى من الرجال والنساء إذا كان محصناً إذا قامت البينة أو كان حمل أو اعتراف، وايم الله لولا أن يقول الناس: زاد عمر فى كتاب الله تعالى لكتبتها». وقد أخرج الإمامان أحمد وابن حنبل والطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة بن سهل عن خالته العجماء أن فيما أنزل الله من القرآن: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة، بما قضيا من اللذة».

---

(١٩) سورة النور: الآية ٤.

وهكذا نجد أن نظرة الإسلام إلى الجنس قائمة على إدراك فطرة الإنسان، ورامية إلى تلبية أشواقه وميوله، حتى لا يتجاوز أى فرد حدود فطرته، ولا يسلك سبيلاً منحرفاً يصطدم مع غريزته، وقد أنزل الله من التشريعات والأحكام ما يلبى حاجات هذه الميول والغرائز، وما يكفل لها الاستمرار والنماء والبقاء. وما الزواج الشرعى إلا تلبية لغريزة الميل إلى الجنس الآخر ليسير الإنسان مع فطرته الجنسية، وميله الغريزى بكل تلاؤم، ولذلك حرّم الإسلام العزوف عن الزواج والزهد فيه ولو بنية التفرغ للعبادة، والتقرب إلى الله، بل إنه من نظرات الإسلام الصائبة إلى الجنس اعتبار تصريف الشهوة بالحلال، وإشباع الغريزة بالزواج من الأعمال الصالحة التى يؤجر عليها المسلم روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أن أناساً من أصحاب النبى ﷺ قالوا للنبى ﷺ: «يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم.

فقال ﷺ: أوليس الله قد جعل لكم ما تصدقون؟.

إن لكم بكل تسبيحة صدقة، وبكل تكبيرة صدقة، وبكل تهليلة صدقة، وبكل تحميدة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة، وفى بضع أحدكم صدقة؟.

قالوا يا رسول الله، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟.

قال ﷺ: «أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر؟

قالوا: بلى، قال: فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له فيها أجر».

ثانياً : التربية الإيمانية

ويقصد بالتربية الإيمانية هنا تربية الشباب على أخلاق أهل الإيمان، وتدريبهم على السلوكيات الإسلامية؛ حتى يصيرون يمثلون الإسلام فى كل حركاتهم وسكناتهم، ويكونون هم المعنيون بقول الله عز وجل: **﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾**[1].

مسئولية الآباء فى متابعة الأبناء

وهذه المسئولية كلفهم بها الله عز وجل، ورسوله ﷺ، فيجب على كل مؤمن أن يكون له عين يقظة على تصرفات أولاده وبناته، ترعاهم عند الصلاة، وترعاهم عند مشاهدة التلفاز، وترعاهم عند اختيارهم للأصدقاء حتى لا يصطحبون قرناء السوء، وترعاهم عند ممارسة هواياتهم، وتراقبهم فى عاداتهم، ويوجهونهم إلى الكمالات الإنسانية، والأخلاق الإيمانية باللطف والرقة واللين.

فيا أخى المؤمن اجعل نصب عينيك قول الله عز وجل: **﴿وأمر إهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾**[2].

وإياك أن تأخذك الشفقة بولدك أيام الامتحانات، وتقول: الولد مشغول وليس من المهم أن يحافظ على الصلاة الآن؛ لأنه مشغول بالاستذكار -وهذا ما يلجأ إليه بعض ضعاف النفوس، مع أن الله

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٣.

(٢) سورة طه: الآية ١٣٢.

عز وجل لا يبارك فى عمل يلهى عن الصلاة- أو تقول له: اذهب إلى الدرس، واجمع الظهر مع العصر، ولا بأس عليك فى ذلك.

بل عليك أن تجعل أكبر همّه، وأعظم حرصه على العمل بأحكام دينه، والاقتداء بسنن نبيه وتنفيذ أوامر ربه، حتى تكون مطمئن البال؛ إلى أنك أنجبت رجالاً يمتثلون لأمر الله، وينفذون تعاليم الله.

واحكى لهم الأمثلة الطيبة من قصص سلفنا الصالح، بل ومن عبر هذه الحياة بما يجعلهم يتمسكون بالفضيلة، ولا ينخدعون بما تنشره لهم بعض وسائل الإعلام، والتى تصور لهم براعة الغش، ومهارة الخداع، وتزيّن لهم أن أقصر طريق للوصول إلى مآربهم الدنيوية وآمالهم الفانية هو الخداع والمؤامرات وأساليب النفاق.

فإذا فعلت ذلك فنم بعد ذلك فى قبرك قرير العين، وتأكد أنهم فى حصن الله وفى كنفه عز وجل فقد ورد عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه خلّف ثلاثة عشر ولداً، ولم يترك لكل واحد منهم إلا ديناراً واحداً عند وفاته -مع أنه كان خليفة المسلمين- فعاتبه بعض أقاربه وقالوا: يا أمير المؤمنين، تركت أولادك ضياعاً!.

فقال رضى الله عنه: أولادى أحد رجلين: أما الصالح منهم، فيتولاه الله **﴿وهو يتولى الصالحين﴾**(٣)، وأما الطالح منهم، فما كنت أترك له ما أعينه به على فسقه وفجوره؛ فأشاركه فى الوزر، فلم يمر عليهم عام واحد بعد وفاته إلا وقد حصّل كل رجل منهم مائة ألف دينار من التجارة الحلال بركة من الله عز وجل بسبب هذا الأب الصالح.

---

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٩٦.

وقد حكى القرآن الكريم أن الله عز وجل أرسل نبى كريم وولى عظيم إكراماً للجد السابع فى قوله سبحانه: ﴿**وكان أبوهما صالحاً**﴾[4]، فقد روى أن المقصود بالأب الصالح فى هذه الآية كان الجد السابع لهؤلاء الأبناء، فأرسل الله إليهم نبياً كريماً، وولياً صالحاً ليقيما الجدار الذى تصدّع ببيتهم، حتى يبلغا الرشد ليستخرجا كنزهما عناية من الله بسبب صلاح جدّهم السابع!.

فما بالك إذا كان الأب الصلب صالحاً؟ وماذا يكون حال أولاده وأهله وذويه؟.

وهناك المثال المغاير، أولاد الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك، فقد ترك ثمانية عشر ولداً، وترك لكل واحد منهم مائة ألف دينار، فلم يمر عليهم عام واحد إلا وصاروا يتكففون الناس بعد أن ذهبت أموالهم فى اللهو والشهوات؛ وذلك لأنه لم يربيهم على التقى والإيمان، فأول تكليف كلّفك به الله عز وجل نحو أولادك أن تحفظ عليهم الإيمان، وأن تربيهم على قيم الإسلام وعلى تعاليم النبى العدنان، وأن توالى هذه القيم بنفسك؛ لأن مجتمعنا لن تنصلح أحواله إلا إذا ظهرت القيم الإسلامية.

فإن المجتمع لن ينصلح حاله ولو كان كله مهندسين وأطباء، إلا إذا كانوا متخلقين بأخلاق السماء، لكن ماذا ينفع الكمّ الكبير من المهندسين والأطباء وغيرهم، إذا لم يكن عندهم مراقبة لله،

---

(٤) سورة الكهف: الآية ٨٢.

ولا يتورعون عن الغش لعباد الله، ولا يرحمون البائس رالفقير والمسكين ويتنازلون له عن الأجر ابتغاء وجه الله، فقد وصف الله عز وجل مجتمع المؤمنين بوصف جميل حيث يقول: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود﴾**[٥].

وليس معنى هذا أننا ننكر ما يفعله الآباء نحو أولادهم من تسابق إلى حجز الدروس الخصوصية لضمان تفوقهم فى الدراسة، ومتابعتهم الجادة فى تحصيل علوم الحياة الحديثة فإن هذا ما دعا إلية الإسلام، بل إن الإسلام يجعل كل شىء يوفره الأب لابنه من طعام أو شراب أو ملبس أو درس يثاب الأب عليه إذا صدقت نيته لقوله ﷺ: **«نفقة الرجل على أهله كالنفقة فى سبيل الله، الدرهم بمائة ألف درهم»**.

وقال ﷺ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه: **«دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار تصدقت به على الفقراء والمساكين، ودينار أعتقت به رقبة، ودينار أنفقته على أهلك، خيرهما وأعظمهما أجراً عند الله الذى أنفقته على أهلك»**.

فكل مال ينفقه على أهله وولده فله ثوابه عند الله عز وجل شريطة أن ينوى إنفاق هذا المال ابتغاء وجه الله عز وجل، وألا يطالب ولده بعد تخرجه بعوض ما أنفقه عليه، أو يعيّره بما أنفقه عليه ويقول له: «لقد أنفقت عليك كذا وكذا، ولكن كل هذا لم ينفع، ولم يؤثر فيك».

---

(٥) سورة الفتح: الآية ٢٩.

لكن الذى أريد أن أنبه نفسى وإخوانى المسلمين إليه، هو أن معظمنا يظن أن كل ما عليه نحو أولاده هو تربية أجسامهم، وقد يزيد البعض على ذلك تعليمهم العلوم العصرية فى المدارس والجامعات، ويفسرون بذلك قوله ﷺ: «**كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته**» ونسينا المهمة العظمى وهى التربية الإيمانية والتى إليها الإشارة بقوله عز وجل: ﴿**قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾[٦]. وقوا يعنى احموا واحفظوا أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وبناتكم من غضب الله وعذاب الله بتربيتهم التربية الإيمانية الحقة والتى نجمل أسسها فيما يلى:

أولاً : القيم الإسلامية

فالصدق والأمانة والمروءة والوفاء والسماحة والعدالة والمساواة وغيرها قيم ذبحتها المادية الخبيثة لتنشر مبادئها الهدامة كالشيوعية والوجودية، مع أن الحياة بغير هذه القيم تتحول إلى جحيم لا يطاق، والإسلام لا ينادى بهذه المبادئ كشعارات جوفاء، وإنما يدعو إلى تطبيقها على مسرح الحياة، حتى نراها على أولادنا، ونلمسها فى بيوتنا، ونحس بها فى أعمالنا، وإليك هذا المثال الرائع لحرص الإسلام على هذه القيم فهذا رجل مسلم دخل فى الإسلام حديثاً، وقد كان ذلك أثناء سفره بتجارة كبيرة لقريش إلى بلاد الشام -وهو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ- وعندما كان فى طريق العودة على مقربة من المدينة أشار عليه بعض المنافقين قائلاً: مادمت قد أسلمت فخذ هذا المال غنيمة لك، ولا ترجع إلى مكة، فقد استولوا على أموال إخوانك

---

(٦) سورة التحريم: الآية ٦.

المسلمين -وهؤلاء يقول الله تعالى فيهم وفى أمثالهم فى كل زمان ومكان: **﴿شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾**.

وما أكثرهم فى زماننا يزيّنون للناس الشر فيقول أحدهم: أنت رجل فقير ولا بأس أن تأخذ من مال الدولة لأنك محتاج، فإذا لم يتيسر لك ذلك فلا مانع من الرشوة - لكن انظر إلى هذا الرجل الذى ملأ الله قلبه بحقيقة الإيمان حيث قال:

لا! لا أبداً حياتى فى الإسلام بالخيانة.

وذهب إلى مكة، وسلّم التجارة والأموال لأهلها، ثم قال لهم:

يا أهل مكة! ماذا تعلمون عنّى؟

فقالوا: لا نعلم عنك إلا كل خير.

قال: هل بقى لكم شئ فى ذمتى؟

قالوا: لا، وجزاك الله خيراً.

قال: فإنى أشهدكم أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وقد كان المثل الأعلى فى ذلك نبيكم الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فقد كان أهل مكة يحاربونه ويؤذونه، بل ويتفننون فى إيذائه، ومع ذلك كانوا يسلمون له أماناتهم ليحفظها عنده، ولم يغره استيلاؤهم على أموال أصحابه، وعلى دورهم، وعلى تجاراتهم أن يأخذ شيئاً من هذه الأمانات حين هجرته لأنه كان حريصاً ﷺ أن يثبّت دعائم الأمانة،

وقواعد الوفاء فى هـذا الدين، حتى أنه عرّض حيـاة ابن عمـه الإمام على بن أبى طالب للخطر حين أمره أن يبيت مكانه ليـؤدى الأمـانات إلى أهلها، ليعلم العالم أجمع أن الإسلام دين القيم والمبادئ والمثل.

ثانيـاً : مكارم الأخـلاق

وهى الغاية التى حددها ﷺ من أجل بعثته حيث يقول: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**». فمكارم الأخلاق كالعفو عند المقدرة، والتجاوز عن المسئ، والعفـــو، والصـفح، والإحسـان إلى من أسـاء وغيـرها، هى الهدف الأسمى من العبادات الإسلامية.

فمثلاً: لماذا فرضت علينا الصلاة؟

يجيب على هـذا السؤال قول الله عز وجـل: ﴿**إن الصـلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾[7].

فـالهـدف من الصـلاة هنا، أن تبـقى الملاحظة الإيمانيـة فى وادى قلبك، فتراقب النوافذ التى يدخل منها الشيطان كالعين والأذن واللسان والفـرج والبطن، ولا تسمح بالدخول منهـا إلا لمن أذن الله له بالدخول، أو أذن له حضرة الرسول ﷺ فإذا دخل عن طريق العين مثلاً شئ يغضب الله، دقّ جرس الإيمان فى قلبك منبهاً لتنتبه إلى أن هناك شئ غريب تسلل إلى مملكتك، وهذا لو تركته ولم تقض عليه، ربما يفسد عليك حالك، أو يذهب صـلاح قلبـك، أو ربما يجعـل حالك حال غـوى أو ضـال شـقى والعيـاذ بالله، وربما مـال بك إلى حـال المنـافـقين،

(٧) سـورة العنكبوت: الآية ٤٥.

وكل هؤلاء تبغضهم السماء، وتلعنهم الملائكة، أما أهل الإيمان فيقول فى شأنهم الله عز وجل: **﴿إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا، فإذاهم مبصرون﴾**[٨].

وقد أجمل ذلك أكثم بن صيفى حيث قال: لو لم يكن ما أتى به محمد ديناً لكان فى أخلاق الناس حسناً.

ثالثاً : بناء المراقبة الإيمانية «الضمير»

أخى المؤمن مهما شرع المشرّعون، ومهما قلّد المقلدون، ومهما أصدر مجلس الشعب أو مجلس الشورى، أو غيرهم من لوائح وقوانين، فلن تنصلح أحوالنا إلا إذا ربّينا الضمير فى نفوسنا، وفى نفوس أبنائنا وبناتنا، فهو العلاج الوحيد، ولا علاج سواه، ولن ينجّينا من تخبّطنا شرقاً وغرباً إلا الضمير، ولن يصلح أحوالنا إلا الضمير، ولن يصلح الضمير إلا الدين الذى جاءنا به اللطيف الخبير سبحانه.

وإلا فبالله عليك خبّرنى أى قانون فى دنيا الناس يجعل المرء يعترف بذنبه على رؤوس الأشهاد؟.

فإننا نرى فى زماننا من يرتكب الخطيئة، ويفعل الفاحشة، ويعمل المنكر، وإذا وقع تحت طائلة العقوبة لجأ إلى التزوير وإلى الكذب، وأعانه شهود الزور وما أكثرهم! وساعده تلفيق المحامين، وما أكثر تلفيقهم!، بل ربما لجأوا إلى رشوة القضاة ليأخذوا حقاً من مظلوم ويعطوه لظالم.

(٨) سورة الأعراف: الآية ٢٠١.

لكن فى ذلك الزمن الفاضل فهذه امرأة لم تتخرج من جامعة، وليس معها دكتوراة، ولم تتعلم فى طوكيو أو لندن أو واشنطن، ولكنها تربت على مائدة الإيمان، وكل ما اكتسبته من العلوم والمعارف إنما هو الإيمان القوى بالله عز وجل.

هذه المرأة تذهب إلى رسول الله ﷺ لأن هيئة الرقابة الداخلية دفعاً إلى هذا العمل فوقفت أمامه ولم تخجل وقالت: يا رسول الله زنيت فكرر ﷺ القول قائلاً: لعلك قبّلت، لعلّك فاخذت، لعلك ضاجعت وهى تصر على قولها مؤكدة اعترافها: زنيت.

فقال ﷺ: ما الذى دعاك إلى هذا الاعتراف؟

قالت: سمعتك تقول: **«من أقيم عليه الحدّ فى الدنيا لم يعذبه الله عز وجل به يوم القيامة»** فهى تريد أن تطهر خوفاً من عذاب الله عز وجل يوم القيامة.

فأراد ﷺ أن يلتمس لها المعاذير، والنيابة المحمدية دائماً فى جانب المتهم تلتمس له مخرجاً، وتحاول أن تجد له عذراً، لأنها لا تريد أن تعذّب أحداً، أو تحكم على أحد بغير حق، لقوله ﷺ: **«لأن يخطئ الإمام فى العفو، خير من أن يخطئ فى العقوبة»** أى لأن يخطئ فيحكم بالبراءة على مجرم، خير من أن يحكم بالعقوبة على برئ، فيكون إثم كبير يوم لقاء العلى الكبير.

فقال لها ﷺ: هل بعقلك شئ؟

قالت: يا رسول الله إنى حامل.

فقال ﷺ: من الذى يتولى أمرها؟ قالوا: عمها.

قال: ائتونى به. فلما جاء قال له: خذها واكرمها ولا تهنها حتى تضع ما فى بطنها.

فلما أتمت الوضع جاءت وكرر عليها الاعتراف مرة أخرى فثبتت على اعترافها، فقال لعمها: خذها حتى تتم رضاع طفلها حولين كاملين، ثم ائتنى بها.

فجاءت بعد العامين وقرّرها فأصرت على الاعتراف، فقال: حتى يكبر الطفل، فقالت: يا رسول الله إنه قد فطم ويأكل وحده وأشارت إلى الطفل وبيده قطعة خبز يأكلها فقال ﷺ: **«أقيموا عليها الحد»** وبينما القوم يرجمونها بالحجارة، أصابت قطرة دم منها ثوب سيدنا خالد بن الوليد فسبّها، فغضب ﷺ وقال: **«لقد تابت توبة، لو وزّعت على أهل المدينة جميعاً لوسعتهم»**. من الذى يبنى هذه المراقبة الإيمانية فى قلب ابنى؟.

لا المدرسة، ولا الدروس الخصوصية التعليمية، وإنما الدروس الخصوصية الإيمانية التى نتعلمها من الجامعة القرآنية، ومن قناة التليفزيون الإيمانية؛ فهى التى تبنى عند الأولاد مراقبة الله، وتجعلهم يراقبون الله عز وجل فى السر والعلانية، والجهر والخفاء، وهؤلاء حتى ولو كانوا فقراء فلا تخشى عليهم لقول الله عز وجل: **﴿وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم، فليتقوا الله، وليقولوا قولاً سديداً﴾**(٩).

---

(٩) سورة النساء: الآية ٩.

أما الذى كافحت معه حتى تخرج من الجامعة وأصبح فى منصب كبير، ولم يحصل على شهادة مراقبة الرقيب عز وجل، فإنه يتعرض للأهواء، وقد يسير فى طريق الفحشاء، أو تحتوشه شياطين الإنس، فيكون مصيره جهنم، وهناك يتعلق بك، ويكون الأمر كما قال ﷺ فيما رواه الطبرانى: «**إذا كان يوم القيامة يتعلق بالرجل أهله وذويه ويقولون: يا ربنا خذ لنا بحقنا من هذا، فيقول الله عز وجل: وما ذاك؟ فيقولون: كان يطعمنا من الحرام، ولم يعلمنا أحكام الإسلام**».

فلو دربّت أولادك يا أخى على مراقبة الله، وعلمتهم قيم الإيمان، ونزعت بعنايتك، وأخرجت بحسن تربيتك، واقتلعت بحسن طريقتك فى توجيههم ما فى صدورهم من غلّ وحقد لبعضهم أو لجيرانهم، أو لأقاربهم وأحبابهم، فاطمئن كل الاطمئنان أنهم سيعاملون بقرار الحنّان المنّان: ﴿**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فلنحيينه حياة طيبة** (فى الدنيا) **ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾[١٠]. وهذا فى الآخرة.

وتدخل أنت فى قوله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

فإذا ربيتهم على تعاليم الرحمن، وأجلستهم على مائدة القرآن، وحببتهم فى الصفات والخصال التى أثنى على أهلها القرآن، وبغّضت إليهم الأخلاق والأفعال التى حذّر منها القرآن، ونفّر منها النبى العدنان، فسيأتون فى ميزان حسناتك يوم لقاء حضرة الديان فيكون عملهم شافع

(١٠) سورة النحل: الآية ٩٧.

لك، ويكون لك مثل أجرهم جميعاً، لأنك السبب فى هذه الأعمال، والأصل فى غرس هذه الخصال والفعال، فقد كان منك هذه العناية، وبك نالوا تلك الرعاية، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

رابعاً : جهاد النفس*

لن يستطيع شبابنا مقاومة التيارات الإلحادية المعاصرة، أو مواجهة أتون الشهوات المستعرة، أو الوقوف أمام تيارات المادة الجارفة إلا بجهاد النفس على وفق الشريعة المطهرة، وغرس مثلها وقيمها فى قلوبهم لتكون هى الحصن الذى يتحطم عليه كل التيارات الوافدة، فإن الانتصار فى ميدان القتال فى زمننا صار سهلاً لأنه يتم بواسطة المدافع والدبابات والطائرات وغيرها من وسائل الدمار، لكن التغلب على نزعات النفس وحظوظها وأهوائها ورغباتها هو الذى يحتاج إلى الجهاد الأعظم جهاد النفس، فنحن لا نحتاج لإصلاح أحوال مجتمعنا لتغيير اللوائح والقوانين، بقدر حاجتنا الماسة إلى تغيير ما بالنفوس لقول الله عز وجل: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**(١١).

فالذى بالنفس ويجعلها ترضخ للمغريات، وتُقبل على الشهوات، وتنسلخ من مبادئها هو الطمع والشح والحرص والشّره والغفلة، والحقد والحسد والغل وغيرها من الصفات الذميمة ولا تتغير النفس من نفس أمّارة أو خبيثة إلى نفس لوّامة أو مطمئنة إلا بالتخلى عن هذه الصفات،

(*) كانت هذه المحاضرة بين المغرب والعشاء بمسجد سيدى محمد أبو عامر بالزقازيق يوم الخميس الموافق ١٩٩٤/١٠/٦م.

(١١) سورة الرعد: الآية ١١.

واقتلاع هذه الآفات مصداقاً لقول الله عز وجل: **﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين﴾**(١٢).

فكل صفات النفس التى تحجبها عن الأنوار، وتُقعدها عن متابعة النبى المختار، وتجعلها تخلد إلى دار البوار، يجب على شبابنا التنبه إلى أخطارها، والعمل على اقتلاعها من جذورها، فالنفس كما قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه فى شأنها:

هى النفس للدانى تحنّ وترغب
وللعاجل الفانى تميل وتطلب

هذه النفس كيف نعالجها؟ وكيف نقضى على شرورها ونزغاتها؟.

أباللوائح والقوانين؟ أم بالدبابات والمدافع؟ لا هذا ولا ذاك.

أنستطيع أن نقوّمها بالعلم الحديث؟ كلاَّ.

فإن أوربا جعلت العلم المادى إلهاً يعبدونه من دون الله، ويدّعون أنه يهيمن على كل شئ، فإذا سألناهم: ما رأى العلم الحديث فى تعاطى الخمر؟

قالوا: يحرمها ويجرمها لأسباب كثيرة يضيق حيّز هذه الصفحات عن ذكرها.

فلماذا تشربونها رغم كشف العلم عن مضارها؟!

وهذا أيضاً رأى العلم فى الزنا وغيرها من منكرات الطباع والأخلاق.

---

(١٢) سورة الحجر: الآية ٤٧.

فالعلم ليس عنده القوة التى تدفعنى إلى هذه المجاهدات، وتلكم المكابدات، لكن الذى يدفعنى لها نور القرآن، وهدى النبى العدنان، وصلابة الإيمان.

نور القرآن

وقد قال فى ذلك سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه: «إن الله يزع بالقرآن ما لا يزع بالسلطان» فنور القرآن هو الذى يستطيع أن يمنعنى من العصيان، لكن أمر السلطان أستطيع أن أفر منه أو أتنصل؛ بل أستطيع أن أضيّع كل ملابسات الجريمة، حتى ولو كان هناك شاهد ملموس علىّ كالبصمة على الإصبع، فالبعض يبتر إصبعه حتى تذهب آثار جريمته، لكن من الذى يستطيع أن يمحو آثار جريمته ممن يقول للشئ كن فيكون؟ إنه عز وجل يقول: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**[13].

فالمؤمن الذى يشعر بداخله أن الله عز وجل يراه، يرى حركاته وسكناته، ويطلع على خواطره وعلى توجهاته وعلى نياته، كيف يعصاه؟

إنه لا يستطيع عصيانه عز وجل حتى ولو كان فى خلاء من الناس، لأنه تيقّن بقلبه أن الله عز وجل لا يخلو منه زمان ولا مكان، وإن كانت عيون الحس لقصورها وضعفها لا تراه، لكن عيون القلب تشهد صفات الله وجمالات الله وكمالات الله ظاهرة فى كل مظهر فى هذه الحياة.

---

(١٣) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

وإن نظرت عـينى إلى أى كـائن
تغيب المبـانى والمعـــانى سواطع

إذن مـا الذى يسـوق الناس إلى البـر وفـعل الخـيـرات، ويجـعلهم يتمسكون بالفضائل كالهدى والعفاف، ويبتعدون عن الرذائل والمنكرات؟ جـهاد النفس على نهج شريعة الله وليس هذا الكلام الذى نقـوله نظرياً، ولكن هناك التجربة العملية الناجحة التى خاضـها محمد رسول الله ﷺ والذين معه. وكلنا نعلم ما كان عليه القوم من أخلاق جاهلية، ونزعات إبليسـية، فقـد كـان بينهـم من هو أشـد من الشـيـاطين فسـاداً وإضـلالاً، ولذلك قدّم الله عز وجل ذكرهم فى الآية لخطورتهم على شياطين الجن وذلك فى قـوله سبـحـانه: **﴿شيـاطين الإنس والجن يوحى بعـضـهـم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾**[14].

وكـان بعضـهم فى أفعاله وأحواله أضل من الأنعام ولذلك يقـول الله عز وجل فى شـأنهم: **﴿أولئك كـالأنعام بل هم أضل﴾**[15]، فـلم يـكن عندهم معـانى ولا فـضائل تليق بتكريم الله للإنسان، أو تناسب الكمـال الذى أعد الله له الإنسان.

لكن مـاذا حـدث؟ كل هذا تغير فى طرفة عين على يد رسـول الله ﷺ فقد أصبحوا بعد السفاهة حلماء، وبعد الجهالة علماء، وبعد الضلالة هـداة حتى قال فيـهم ﷺ: **«علماء حكمـاء فقهــاء، كادوا من فقـههم أن يكونوا أنبيــاء»** لقـد طهرهم ﷺ من صـفـات الجاهلية، وخلّقـهم

---

(١٤) سـورة الأنعـام: الآية ١١٢.
(١٥) سـورة الأعـراف: الآية ١٧٩.

بعد جهادهم أنفسهم بالصفات الربانية من الرحمة والشفقة والعطف والبذل والإيثار والعفو والصفح وغيرها وكذلك الأخلاق القرآنية من التواضع والخشوع والاخبات والابتهال والتبتل وغيرها فلما نصروا الله عز وجل بإقامة شريعته، وحفظ كتابه، والعمل بأحكام دينه، والحرص على وصاياه وتوجيهاته، نصرهم الله عز وجل على أعدائهم تنفيذاً لقوله عز وجل: **﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾**(١٦).

ميادين جهـاد المؤمنين

إن الذى أضـاع حال معظم النـاس فى هـذا العصر، اعتقادهم أن ميدان الجهاد فى الحصول على الأموال فقط لأن بها تتيسر لهم وسائل الحصول على الشهوات، ونيل جميع الرغبات ولذلك سولت لهم أنفسهم أن كل طريق للحصـول على المـال فهو مبـاح ولو كان الغش أو الخداع أو السلب أو النهب أو النصب والاحتيـال أو الكذب فالمهم أن يحصل على المال بأى وسيلة وبأى كيفية ويبرّرون ذلك بقولتهم المغلوطة: الغاية تبرر الوسيلة.

لـكن المؤمن يجاهد لتحصيل المـال من طريق حـلال، فإذا انتهى من سعيه على معاشه عمل بقول الله عز وجل لحبيبه ومصطفاه ﷺ: **﴿فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾**(١٧). فتجده يجاهد فى ميدان من الميادين التى أشار إليها القرآن،فبعضهم يجاهد ليكون مع القوم الذين

---

(١٦) سورة محمد: الآية ٧.

(١٧) سورة الإنشراح: الآيتـان ٧، ٨.

يقول الله عز وجل فيهم: **﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾**[١٨]، وبعضهم يرغب فى الدخول فى مقام: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** ويكتب فى ديوان المحبين فجهاده فى التخلق بقول الله عز وجل: **﴿يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾**[١٩]، ومنهم من يودّ أن يكون: **﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾**[٢٠]. ونحن نطلب هذا المقام فى كل ركعة من ركعات الصلاة حيث نقول: **﴿اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم﴾**[٢١]، والصراط المستقيم لا يكون بالصلاة فقط ولكن بالجهاد فى التحقق بقول الله عز وجل: **﴿ومن يطع الله والرسول﴾**[٢٢].

فإذا كنت أطيع الله عز وجل فى القيام بالصلاة وأخالفه بالكذب على عباد الله، أو الخيانة للمؤمنين بالله فهذه طاعة مردودة لأن الدين لابد أن يؤخذ جملة واحدة فالطاعة كما أقوم بها فى العبادات لابد أن أقوم بها فى المعاملات، ولابد أن أتصف بها فى الأخلاق، بل قد وصل الأمر ببعض الصالحين إلىْ التأسى برسول الله ﷺ حتى فى العادات، كالنوم والأكل والشرب وما شابه ذلك، وذلك لرغبتهم الشديدة فى أن يكونوا فى معيته ﷺ.

---

(١٨) سورة النور: الآية ٣٧.

(١٩) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٢٠) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٢١) سورة الفاتحة: الآيتان ٦، ٧.

(٢٢) سورة النساء: الآية ٦٩.

إذن فالمؤمن يجاهد فى ميدان من ميادين الجهاد التى وضحها القرآن، أو بيّنتها سنة النبى العدنان، ويطلب بذلك الأنس بالله، أو التلذذ بذكر الله، أو التمتع بمناجاة الله بكلام الله، أو الدخول فى معية سيدنا رسول الله، أو الحصول على الدرجات العالية فى الجنة، أو ضمان الأمان فى الدار الآخرة من عذاب الله والدخول فى المقام الكريم الذى يقول فيه الله عز وجل: **﴿أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾**(٢٣).

ومن يفعل ذلك فهو الإنسان الذى تحقق بخلافة الله، واستحق تكريم الله فى قوله جل شأنه: **﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾**(٢٤).

وقد نبه إلى بعض هذه المعانى الإمام على رضى الله عنه وكرّم الله وجهه حيث يقول:

أتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر
دواؤك فيك وما تبصر
وداؤك منك ولا تشعر

وأشار إلى ذلك الإمام أبو العزائم رضى الله عنه فى قوله:

ياصورة الرحمن والنور العلى
يا سدرة الأوصاف والغيب الجلى
فيك المعانى كلها طويت فهل
أدركت سراً فيك من معنى الولىّ؟

---

(٢٣) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

(٢٤) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

فنحن نريد إصلاح النفوس أولاً قبل إصلاح القوانين واللوائح، وإقامة النفوس الفاضلة قبل إقامة المباني والمنشآت، فإصلاح النفس هو الذى عليه المعوّل الأول فى الإصلاح، فلو أن فرداً واحداً فقط استطاع إصلاح نفسه، لفتح الله عز وجل به دولاً كاملة، لأن الله عز وجل يهيئ له الأسباب، ويفتح له القلوب، ويجرى الخير على يديه، ويسوق البر فى ركابه تحقيقاً لقوله سبحانه: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئا﴾**(٢٥).

وفى هذا العصر الذى نحن فيه لن ينصلح حال مجتمعنا إلا إذا انتشر العلماء العاملون، والحكماء الربانيون، والأئمة المخلصون، يهذبون النفوس بعلمهم وبحالهم، ويخلعون منها الحقد والحسد والغل والبغض، ويملؤونها بالحب والشوق والوجد والإيثار وينشرون أخلاق الأنبياء وصفات الأولياء.

فإذا امتلأت القلوب بهذه المعانى فستنحصر الجريمة فى المجتمع، وتنزوى الأخلاق السيئة، وتتوارى الرذائل، وسنجد فى قلوب شبابنا وبناتنا سداً إيمانياً منيعاً يصد التيارات الإلحادية والمادية الجارفة التى يسلطها علينا شياطين أوربا وغواة أمريكا، هذا السد الإيماني يجعل صاحبه من الفتية الذين يقول فيهم الله: **﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾**(٢٦)، فلو ألقى فى وسط جهنم المعاصى فى لندن أو باريس

---

(٢٥) سورة النور: الآية ٥٥.

(٢٦) سورة الكهف: الآية ١٣.

أو غيرها، فلن يستطيع أى إغراء أو إغواء أن يؤثر فيه أو يفتنه، لأن السد الإيمانى بداخله يحفظه من ذلك.

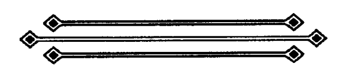
من أين بُنى هذا السد؟

من كلام الله، ومن سنة رسول الله، والعمل بهما بإخلاص طلباً لمرضاة الله عز وجل، أما الذى ليس عنده هذا السد الإيمانى فتجده يبحث عن المعاصى ليرتكبها، ويلحّ فى طلب الدواعى التى تهيئ له ذلك، بينما الفتى المؤمن تتهيأ له الدواعى، وتتبرج له الدنيا، وتتزين له المعاصى ولسان حالها يقول: «هيت لك» فيجيبها لسان حاله قائلاً: **﴿معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون﴾**(٢٧).

من الذى يصنع هذا السد ويبنيه فى قلوب بنينا وبناتنا؟

العلماء العاملون والدعاة المخلصون الذين يقول فيهم الله جل شأنه: **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾**(٢٨).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(٢٧) سورة يوسف: الآية ٢٣.

(٢٨) سورة السجدة: الآية ٢٤.

خاتمــة

بقى لنا باب كنا نود أن نضعه فى هذا الكتاب حتى يكمل فى بابه وهو نظرة فى المناهج التعليمية الحديثة لإضافة اللمسات الإيمانية عليها- خاصة وأن ديننا لا يعارض العلم بل يحض عليه ويرغّب فيه، ومن إعجاز هـذا الدين أن كل ما يستجد من نظريات علميــة يقينية تجدها مسطرة فى صفحات كتابه المكنون، أو مذكورة بدقة بالغة فى سنة النبى الكريم، أما الفــروض والتخمينــات التى ما زالت فى مرحـلة الظن أو التجـربة ولم تتأكد مصداقيتها فلا حاجة لنا بها الآن.

لكننا وجدنا أن هذا الموضوع يحتاج إلى كتيب خاص -أعاننا الله على إنجــازه- لـكثرة تشعّب العـلوم في هــذا العصر. فنحن نحتــاج إلى مراجعة المواد الدراسية التى تدرس بالأزهر الشريف لحذف الحشو منها وصيـاغتـهـا بأسلوب عصرى، ونحتاج لمراجعة جميع العلوم اللسانية والأدبيـة والاجتـمـاعية والعلمـية حتى التاريخيـة لوضعـهـا على منهج استـقـرائى علمى وإخـراج مـا اندس فـيـهـا بسـبب الأهواء والأغـراض والصـراعات والعـصبيات والتنافس بين الأمم والشـعوب، أو بين الأحزاب السياسية والفرق الدينية، ثم نحن بحاجة بعد ذلك إلى إضافة اللمسات الإيمانية بربط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالمناهج العصرية بطريقة تربوية مع التركيز على القيم والأخـلاق والمثـل والمبـادئ التى تتمـاشى مع الشريعة الإسلامية، وإزاحة الآراء العلمية التى ثبت زيفـها ومـا زالت تدرس بمدارسنا على أنها نظرية ثابتة ليس هناك من العلم ما يدحضـهـا

كنظرية دارون مع أنها لا تدرس فى مدارس أوربا إلا على أنها كانت نظرية علمية فى حقبة من الزمن ثم ثبت خطأها، كذلك إزالة ما علق بأبطالنا وزعمائنا من أباطيل اندست فى كتبنا أثناء وجود الاستعمار ببلدنا.

هذا إلى جانب كثير من الآراء والمقترحات التى تتعلق بهذا الموضوع نسأل الله عز وجل أن يحى الغيرة على هذا الدين فى قلوب شبابنا وبناتنا، حتى يقوموا بهديه مستمسكين، ويكونوا بشريعته عاملين، وله عز وجل في عملهم قاصدين فنحن أمة الإسلام كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا الهدى فى غيره أذلنا الله عز وجل».

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقير إلى الله تعالى

فوزى محمد أبو زيد

الجميزة ـ غربية

ت: ٤٨٠٥١٩ الجميزة

المراجـــع

١ – القــرآن الكريم.

٢ – كتب الســنة.

٣ – أسرار القــرآن: الإمام أبو العــزائم
دار المدينة المنورة ـ القــاهرة

٤ – المحاســن: البيهقى

٥ – المقــدمة: ابن خلدون
دار الشعب ـ القــاهرة

٦ – العقد الفريد: ابن عبد ربه

٧ – إحيــاء علوم الدين: الإمام الغــزالى
دار الشعب ـ القــاهرة

٨ – الفضائل الخلقية فى الإسلام: د. أحمد عبد الرحمن ابراهيم
دار الوفاء ـ المنصورة ١٩٨٨م

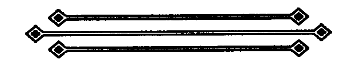
٩ – العاطفة الجنسية فى ضوء الدين والعلم: أحمد عبد اللطيف بدر
دار التأليف ـ القــاهرة

١٠ – الختــان: الشيخ جاد الحق على جاد الحق
كتاب الأزهر ١٩٩٥م

١١ – علاقة الآباء بالأبناء فى الشريعة الإسلامية: د. سعاد ابراهيم صالح
كتاب التعاون ١٩٩٥م

١٢- تربيتنا الزوجية: سعيد حوى
١٣- الإسلام والشباب: عبد التواب رضوان
رسالة الإمام ١٩٨٧م
١٤- الإسلام والعقل: د. عبد الحليم محمود
دار المعارف ١٩٨٨م
١٥- التربية الجنسية فى الإسلام: د. عبد الرحمن طالب الجزائرى
الدار المصرية ١٩٩٢م
١٦- تربية الأولاد فى الإسلام: عبد الله ناصح علوان
دار السلام - القاهرة ١٩٩٢م
١٧- صورة البيت المسلم: عصام بن محمد الشريف
دار الصفوة ١٩٩٣م
١٨- تربية الأولاد فى الإسلام: عطية صقر
الدار المصرية للكتاب - القاهرة ١٩٩٠م
١٩- المنهج السليم إلى طريق الله المستقيم: عطية صقر
مجمع البحوث الإسلامية ١٩٩٢م
٢٠- النفس أمراضها وعلاجها: محمد الفقى
صبيح - القاهرة ١٩٧٠م
٢١- منهج القرآن فى التربية: محمد شديد
دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٩٧٩م
٢٢- توجيهات فى بناء الأسرة: الشيخ محمد على سلامة
دار الإيمان والحياة ١٩٩١م

٢٣- حقوق الإنسان فى الإسلام: الشيخ محمد على سلامة
دار الإيمان والحياة ١٩٩٢م
٢٤- خواطر إيمانية: الشيج محمد على سلامة
٢٥- منهج التربية الإسلامية (جزءان): محمد قطب
دار الشروق ـ القاهرة ١٩٩٢م
٢٦- الإسلام ورعايته للطفولة: منصور الرفاعى عبيد
دار الشعب ١٩٩٢م
٢٧- الإسلام ومنهجه فى تربية الأبناء: منصور الرفاعى عبيد
الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩١م



كتب للمؤلف

من أعلام الصوفية المعاصرين :

١ – الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى
٢ – الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة

الإيمان والحياة :

٣– زاد الحاج والمعتمر
٤– نفحات من نور القرآن (الجزء الأول)
٥– مائدة المسلم بين الدين والعلم
٦– طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين
٧– حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق
٨– مفاتيح الفرج
٩– تربية القرآن لجيل الإيمان

تحت الطبع للمؤلف

نفحات من نور القرآن (الجزء الثانى)

الناشر: **دار الإيمان والحياة**
٧٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى
ت: ٣٥٠٩١٤٠

الفهـــرس

الموضـوع	الصفحة